

نساء صالحات

تاليف: صفاء محمد قطب



Site : www.ynabeea.com
E-mail: info@ynabeea.com



اسم الكتاب	نساء صالحات
المؤلف	رشا أبو الليل
الناشر	الأسرة للنشر والتوزيع
رقم الإيداع	٢٠٠٥/١٨٨٨٥
عدد الصفحات	٩٦ صفحة
اخراج فنى	شريف محمد
تجهيز فنى	عاطف قشيشة
المراجعة	خياط النمس
مدير الإنتاج	أحمد حسن عرابي



١١ شارع الطوبجي - بين السرايات - الجيزة
تليفون ٧٦٢٣٥٩٨ تليفاكس ٧٤٩٣٦٨٥
محمول ٠١٠٥٠١٤٥٧٣



مقدمة

في معظم المجتمعات البشرية، والحضارات المختلفة، توجد أمثلة معينة لأناس على درجة عالية من الأهمية والرفعة، قدموا الكثير في سبيل شعوبهم، وساهموا إيجابيًّا في مجالات كثيرة، حتى استحقوا أن يُطلق عليهم اسم "القدوة الحسنة".

وفي مجتمعاتنا الإسلامية، وتاريخنا العريق، حظيت أسماء كثيرة وكبيرة بهذه الصفة، التي جعلت منهم نبراسًا يُقتدي بهم الناس، ويسيروا على خطاهم، أملاً في أن يصلوا إلى مركزهم، أو يحظوا بشرف منزلتهم.

وتبرز أهمية أسلوب (القدوة الحسنة) من عدة أمور، منها:

١- جعل الله – عز وجل – لعباده أسوة عملية في الرسل والصالحين من عباده، وعدم اكتفائه بإنزال الكتب عليهم، فأرسل الرسل، وقصَّ على المؤمنين قصصهم، وعرض سيرتهم، ثم أمر باتباعهم، والاقتداء بهم، فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ... ﴾[1].

٢- إن من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها، أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة، أكثر مما يتأثرون بالقراءة والسماع، ولا سيما في الأمور العملية، ومواقف الشدة وغيرها، وهذا التأثير فطري لا شعوري في كثير من الأحيان.

٣- إن أثر القدوة عامٌّ يشمل جميع الناس على مختلف مستوياتهم، حتى الأمي منهم، فبإمكان كل إنسان أن يحاكي فعل غيره، ويقلده، ولو لم يفهمه.

ومن هنا: كان فضل الصحبة للصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – لا يَعدله شيء، وكان إنكار الله عظيمًا على من يخالف قوله عمله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾[2].

---

1) الأنعام، ٩٠

2) الصف: ٢،٣


بسم الله الرحمن الرحيم

أم وحاضنة

آمنة بنت وهب

أم أيمن

لقد اختار الله تعالى لنبيه محمد ﷺ أما طاهرة كريمة، ذات أصل عريق، ونسب شريف. إنها آمنة بنت وهب، كما اختار الله تعالى له حضانة لها مكانتها ومنزلتها العالية في قلب رسول الله ﷺ إنها أم أيمن.

آمنة بنت وهب
أم رسول الله ﷺ

تمهيد ومناجاة:

يا أم النبي، يا سيدة الأمهات، يا من جادت على البشرية عامة بوليدها الوحيد، خاتم الرسل أجمعين.

إن نبينا الكريم، المصطفى – ﷺ – ، هو الإنسان الذي حملته جنينًا في أحشائك، ووضعته كما تضع كل أنثى من البشر، وقال تعالى لابنك الخالد ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً ﴾، وجعل منك أيتها الأنثى الوديعة المتواضعة، والأم الطيبة الحنونة، موضع إجلاله واعتزازه، وحملتي أجنة البشرية وهنًا على وهن. وذلك الشعور الجميل الرائع الذي يشعر به ولدك محمد، حين سُئل عن أحق الناس بإكرامه فقال:"**أُمّك.. ثُمَّ أُمّك.. ثُمَّ أُمّك.. ثُمَّ أَبُوك**"؟

آمنة بنت وهب سيدة الأمهات:

هذه الشخصية العظيمة، والأم الجليلة، لطالما نقصت المصادر والراويات عنها، ويمكن تلمُّس ملامحها من خلال صورة ابنها العظيم، الذي آوته أحشاؤها، وغذّاه دمها، واتصلت حياته بحياتها. لقد كان سيدنا محمد، هو الأثر الجليل الذي خلّفته السيدة "آمنة بنت وهب". وإن الله تعالى اختار سيدنا محمد، حيث اختاره من كنانة، واختار كنانة من قريش من العرب، فهو خيار من خيار. وقد كان لها من أثر في تكوين ولدها الخالد الذي قال معتزا بأمّهاته بالجاهلية: "**أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِقِ مِنْ سَلِيمٍ**".

أنوثة وأمومة:

عانت المرأة في الجاهلية من صنوف الاستعباد والاستبداد، ومن وأد البنات، وانتقال المرأة بالميراث من الأباء إلى زوجات الأبناء، وغيرها. إلا أننا غافلون عن أمومة آمنة بنت وهب، وعن فضلها في إنجاب خاتم النبيين – عليهم الصلاة والسلام – ، فمن الملوك العرب، من انتسبوا إلى أمهاتهم: كعمرو بن هند، وأبوه

هو المنذر بن ماء السماء. وهناك كثير من الشعراء يمدحون كبار الرجال بأمهاتهم، وكذلك لم ينسوا أن يذكروا للمرأة مشاركتها في جليل الأحداث.

بيئة آمنة ونشأتها:

تفتحت عينا الفتاة والأم الجليلة آمنة بنت وهب في البيت العتيق في مكة المكرمة، في المكان الذي يسعى إليه الناس من كل فج، ملبيةً نداء إبراهيم "الخليل" – عليه الصلاة والسلام – في الناس بالحج، وفي ذلك المكان الطاهر المقدس وضعت السيدة "آمنة بنت وهب" سيد الخلق "محمدًا"، في دار "عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم"، وبيئة آبائه وأجداده، ودار مبعثه ﷺ.

آل آمنة بنو زهرة:

تندرج "آمنة بنت وهب "من أسرة " آل زهرة " ، ذات الشأن العظيم؛ فقد كان أبوها "وهب بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي"، سيد بني زهرة وأكثرهم شرفًا وحسبًا، وفيه يقول الشاعر:

يا وهب يا بن الماجد بن زهرة سُدت كلابًا كلها، ابن مرة

ولم يكن نسب "آمنة" من جهة أمها، دون ذلك عراقة وأصالة، فهي ابنة برة بنت عبد العزّى، بن عثمان، بن عبد الدار، بن قُصي، بن كلاب، فتجمّع في نسب "آمنة" عز بني عبد مناف من حسب وأصالة. ويؤكد هذه العراقة والأصالة بالنسب، اعتزاز الرسول ﷺ بنسبه؛ حيث قال: **"لَمْ يَزَلِ اللهُ يَنْقُلُنِي مِنَ الأَصْلابِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُصَفًّى مُهَذَّبًا، لا تَتَشَعَّبُ شُعْبَتَانِ إلاَّ كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا"**

نشأة آمنة "زهرة قريش":

كان منبت سيدتنا "آمنة" وصباها في أعز بيئة، وما لها من مكانة مرموقة من حيث الأصالة، والنسب، والحسب، فكانت تُعرف "بزهرة قريش"؛ فهي بنت بني زهرة الأكثر نسبًا وشرفًا، فكانت محشومة ومخبأة من عيون البشر، حتى إنَّ الرواة كانوا لا يعرفون ملامحها، وقيل فيها: إنها عندما خُطبت لعبد الله بن عبد المطلب، كانت حينها أفضل فتاة في قريش نسبًا وموضعًا. وكان شذاها العطر ينبثق من دور

بني زهرة، ولكنه ينتشر في أرجاء مكة. وقد عرفت "آمنة" في طفولتها وحداثتها ابن العم "عبد الله بن عبد المطلب"؛ حيث إنه كان من أبناء أشرف أسر قرشي، حيث يُعتبر البيت الهاشمي أقرب هذه الأسر إلى آل زهرة؛ لما لها من أواصر الود والعلاقة الحميمة التي تجمعهم بهم، عرفته قبل أن ينضج صباها، وتلاقت معه في طفولتها البريئة على روابي مكة، وبين ربوعها، وفي ساحة الحرم، وفي مجامع القبائل، ولكنها حُجبت منه؛ لأنها ظهرت فيها بواكر النضج، هذا جعل فتيان من أهل مكة يتسارعون إلى باب بني زهرة، من أجل طلب الزواج منها.

"عبد الله فتى هاشم":

لم يكن "عبد الله" بين الذين تقدموا لخطبة "زهرة قريش"، مع أنه جدير بأن يحظى بها، لما له من رفعة، وسمعة، وشرف، فهو ابن "عبد المطلب بن هاشم"، وأمه "فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية"، وجدّة "عبد الله" لأبيه "سلمى بنت عمرو". ولكن السبب الذي يمنع "عبد الله " من التقدم إلى "آمنة"، هو نذْر أبيه بنحر أحد بنيه لله عند الكعبة؛ حيث إن عبد المطلب حين اشتغل بحفر البئر، وليس له من الولد سوى ابنه "الحارث"، فأخذت قريش تذله، فنذر يومها إذا ولِدَ له عشرة من الأبناء، سوف ينحر أحدهم عند الكعبة، فأنعم الله على "عبد المطلب" بعشرة أولاد، وكان "عبد الله" أصغرهم، وخفق قلب كل شخص وهو ينتظر اللحظة ليسمع اسم الذبيح، وبقيت "آمنة"، لا تستطيع أن تترك بيت أبيها، ولكنها تترقب الأنباء في لهفة، وقد اختير "عبد الله" ليكون ذبيحًا، ومن ثم ضرب صاحب القدح، فخرج السهم على "عبد الله" أيضًا، فبكت النساء، ولم يستطع "عبد المطلب" الوفاء بنذره؛ لأن عبد الله أحب أولاده إليه، إلى أن أشار عليهم شخص وافد من "خيبر" قائلاً: قربوا عشرًا من الإبل، ثم اضربوا القداح، فإذا أصابه، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، فإذا خرجت على الإبل فانحروها، فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم، وظلوا على هذه الحالة ينحرون عشرًا ثم يضربون القداح، حتى كانت العاشرة، بعد أن ذبحوا مائة من الإبل.

عرس آمنة وعبد الله:

جاء "وهب" ليخبر ابنته عن طلب "عبد المطلب" بتزويج "آمنة" بابنه "عبد الله"، فغمر الخبر المفرح نفس "آمنة"، وبدأت سيدات آل زهرة تتوافدن الواحدة تلو الأخرى لتباركن "لآمنة". وكذلك قيل: إن الفتيات كُنّ يعترضن طريق "عبد الله"؛ لأنه اشتُهر بالوسامة، فكان أجمل الشباب وأكثرهم سحرًا، حتى إنَّ أكثر من واحدة خطبته لنفسها مباشرة. وأطالت "آمنة" التفكير في فتاها، الذي لم يكد يفتدى من الذبح حتى هرع إليها طالبًا يدها، زاهدًا في كل أنثى سواها، غير مهتم إلى ما سمع من دواعي الإغراء. واستغرقت الأفراح ثلاثة أيام، ولكن عيناها ملأتها الدموع؛ لأنها سوف تفارق البيت الذي ترعرعت فيها. وأدرك "عبد الله" ما تشعر به، وقادها إلى رحبة الدار الواسعة، وذُكر أن البيت لم يكن كبيرًا ضخم البناء، لكنه كان مريحًا لعروسين في بَدْء حياتهما.

كان البيت ذا درج حجري يوصل إلى الباب، ويفتح من الشمال، ويدخل منه إلى فناء يبلغ طوله نحو عشر أمتار في عرض ستة أمتار، وفي جداره الأيمن باب يدخل منه إلى قبة، وفي وسطها يميل إلى الحائط الغربي مقصورة من الخشب، أُعدَّت لتكون مخدعًا للعروسين.

البشرى بمحمد:

بعد زواج "عبد الله" من "آمنة"، أعرض عنه كثير من النساء اللواتي كنَّ يخطبنه علانية، فكانت بنت "نوفل بن أسد" من بين النساء اللواتي أعرضن عن "عبد الله"، فسأل عبد الله واحدة منهن عن سبب إعراضها عنه، فقالت: "فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة".

أدهش هذا الكلام "عبد الله وآمنة"، وراحا يفكران في القول الذي قالته تلك المرأة، ولم تَكُفّ "آمنة" عن التفكير، وسبب انشغال آمنة في التفكير يرجع إلى أن هذه المرأة أخت "ورقة بن نوفل"، الذي بشّر بأنه سوف يكون في هذه الأمة نبي.

وبَقِيَ "عبد الله" مع عروسه أيامًا، وقيل: إن المدة لم تتجاوز عشرة أيام؛ لأنه يجب عليه أن يلحق بالقافلة التجارية المسافرة إلى غزة والشام.

العروس الأرملة آمنة!

انطلق "عبد الله" بسرعة قبل أن يتراجع عن قراره، ويستسلم لعواطفه، ومرت الأيام، و"آمنة" تشعر بلوعة الفراق، واللهفة والحنين إلى رؤيته، حتى إنها فضلت العزلة والاستسلام لذكرياتها مع "عبد الله" بدلاً من أن تكون مع أهلها. ومرت الأيام، وشعرت خلالها "آمنة" ببوادر الحمل، وكان شعورًا خفيفًا لطيفًا، ولم تشعر فيه بأيّة مشقة حتى وضعته. وفي هذه الأيام كانت تراودها شكوك في سبب تأخير "عبد الله"، فكانت تواسي نفسها باختلاقها الحجج والأسباب لتأخيره.

وجاءت "بركة أم أيمن" إلى "آمنة"، فكانت لا تستطيع أن تخبرها بالخبر الفاجع، الذي يحطم القلب عند سماعه، فكانت تخفيه في صدرها كي لا تعرفه "آمنة"، ومن ثم أتاها أبوها ليخبرها عن "عبد الله"، التي طال انتظارها له، فيطلب منها أن تتحلى بالشجاعة، وأن "عبد الله" قد أُصيب بوعكة بسيطة، وهو الآن عند أخواله بيثرب، ولم تجد هذه المرأة العظيمة سوى التضرع، والخشية، وطلب الدعاء من الخالق البارئ، لعله يرجع لها الغائب الذي تعبت عيناها وهي تنتظره. وفي لحظات نومها، كانت تراودها أجمل وأروع الأحلام والرؤى عن الجنين الذي في أحشائها، وتسمع كأن أحدًا يبشرها بنبوءة وخبر عظيم لهذا الجنين.

وجاء الخبر المفزع من "الحارث بن عبد المطلب"، ليخبر الجميع بأن "عبد الله" قد مات. أفزع هذا الخبر آمنة، فجادت عيناها بالدموع، وبكت بكاءً مُرًّا على زوجها الغائب، وحزن أهلها حزنًا شديدًا على فتى قريش عبد الله، وناحت مكة عليه وبكت على عبد الله، الشجاع القوي.

آمنة بنت وهب أم اليتيم:

نُصحت آمنةُ بنت وهبٍ بالصبر على مصابها الجلل، الذي لم يكن ليُصدّق عندها، حتى إنها كانت ترفض العزاء في زوجها، ولبثت مكة وأهلها حوالي شهرًا

أو أكثر، وهي تترقب ماذا سوف يحدث بهذه العروس الأرملة التي استسلمت لأحزانها. وطال بها التفكير بزوجها الغالي عليها، حتى إنها توصلت للسر العظيم الذي يختفي وراء هذا الجنين اليتيم، فكانت تعلل السبب فتقول: إن "عبد الله" لم يفتد من الذبح عبثًا. لقد أمهله الله حتى يودِعَني هذا الجنين الذي تحسه يتقلب في أحشائها، والذي من أجله يجب عليها أن تعيش. وبذلك أنزل الله – عز وجل – الطمأنينة والسكينة في نفس "آمنة"، وأخذت تفكر بالجنين الذي وهبها الله – عز وجل – لحكمة بديعة، ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾[1]، فوجدت "آمنة" في هذا الجنين مواساة لها عن وفاة زوجها، ووجدت فيه من يخفف عنها أحزانها العميقة.

فرح أهل مكة بخبر حمل "آمنة"، وأتوا لتهنئتها على هذا الخبر السعيد. وتتكرر الرؤى عند "آمنة"، وسمعت كأن أحد يقول لها "أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، ثم تسميه محمدًا".

وجاءها المخاض، فكانت وحيدة ليس معها أحد، ولكنها شعرت بنور يغمرها من كل جانب، وخُيل لها أن "مريم ابنة عمران"، و "آسية امرأة فرعون"، و "هاجر أم إسماعيل" كلهن بجانبها، فأحست بالنور الذي انبثق منها، ومن ثم وضعت وليدها كما تضع كل أنثى من البشر، وهكذا كان.

ولـــد الهدى فالكائنات ضيـــاء — وفم الزمان تبسم وثنـــــاء
الروح والملأ الملائك حولـــــه — للدين والدنيا به بُـــشـــــراء
والعرش يزهو والحظيرة تزدهي — والمنتهى، والسدرة العصماء

وهنا اكتملت فرحة "آمنة"؛ فوليدها بجوارها، ولم تعد تشعر بالوحدة التي كانت تشعر بها من قبل. وفرح الناس، وفرح الجد "عبد المطلب" بحفيده، وشكر الرب على نعمته العظيمة، منشدًا:

---

١) الضحى ٦

الحمـــــــد لله الذي أعطاني   هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان   أعيذه من شر ذي شنـــآن

وسماه "محمدا"، وسبب تسميته محمدًا، هو أنه يريده أن يكون محمودًا في الأرض وفي السماء، ومن ثم توالى القوم ليسموا أبناءهم بهذا الاسم.

وشعرت "آمنة" بأن القسم الأول والأهم قد انتهى بوضع وليدها المبشر، ورسالة أبيه قد انتهت بأن أودعه الله جنينًا في أحشائها، ولكن مهمتها بقيت في أن ترعاه وتصحبه إلى يثرب ليزور قبر فقيدهما الغالي "عبد الله". وبعد بضعة أيام جف لبن "آمنة"؛ لما أصابها من الحزن والأسى لموت زوجها الغالي عليها، فأعطته "لحليمة بنت أبي ذؤيب السعدي" حتى ترضعه، فبات عندهم حتى انتهت سنة رضاعته، وأرجعته إلى "آمنة". وفي الفترة التي عاش عند "حليمة"، حدثت لرسول حادثة شق الصدر، التي أفزعت النفوس بها.

وفاة آمنة بنت وهب:

حان الوقت الذي كانت "آمنة" تترقبه، حيث بلغ محمدٌ السادسة من عمره، بعد العناية الفائقة له من والدته، وظهرت عليه بوادر النضج، فصحبته إلى أخوال أبيه المقيمين في يثرب، ولمشاهدة قبر فقيدهما الغالي، وعندما وصلت إلى قبر زوجها، عكفت هناك ما يقارب شهرًا كاملاً، وهي تنوح وتتذكر الأيام الخوالي، التي جمعتها مع زوجها، بينما "محمد" يلهو ويلعب مع أخواله.

تعبت "آمنة" في طريقها بين البلدتين؛ إثر عاصفة حارة وقوية هبت عليهم، فشعرت "آمنة" بأن أجلها قد حان، فكانت تهمس بأنها سوف تموت، ولكنها تركت غلامًا طاهرًا، ثم أخذها الموت من بين ذراعي ولدها الصغير، وفارقت هذه الدنيا. وانهلت أعين الطفل بالبكاء بين ذراعي أمه، فهو - بعد - لا يدرك معنى الموت، فأخذته "أم أيمن"، فضمته المسكينة إلى صدرها، وأخذت تحاول أن تفهمه معنى الموت حتى يفهمه. وعاد اليتم الصغير إلى مكة حاملاً في قلبه الصغير الحزن

والألم، ورأى بعينيه مشهد موت أعز الناس وأقربهم إلى قلبه، أمه آمنة، التي يصعب عليه فراقها.

آمنة بنت وهب المرأة الخالدة:

ماتت "زهرة قريش" السيدة العظيمة، ولكنها خلدت في قلب أهل مكة، وفي قلب ابنها سيد البشر، فهي عظيمة، وأم لنبينا - ﷺ. وقد اختاره الله - عز وجل - واصطفاه من بين البشر جمعاء، ليحمل رسالة عظيمة إلى شتى أنحاء العالم وللبشر. هذا اليتيم لم يعد يتيمًا، بل كفله عمه " أبو طالب" بعد وفاة جده، وكان يحبه حبًّا شديدًا، فكان يعتبره واحدًا من أبنائهم، وكان ينتظره إلى أن يأتي ويتغدى الجميع بصحبة محمد المباركة، وعلى الرغم من أن محمّدا - - أُحيط بحب زوجته "السيدة خديجة"، وحنان زوج عمه "فاطمة بنت أسد"، ولكن ذكريات أمه بقيت معه في كل لحظة، ويذكر كل لحظة جميلة قضاها معها إلى لحظة موتها، حتى كان ينوح من البكاء.

وكأنه يرى ملامحها الجليلة في زوجته "خديجة"، التي سكن عندها منذ أن بلغ الخامسة والعشرين من عمره، إلى أن توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين. كذلك تمثلت في بناته، وفي حنوّه وأبوته لهن، وها هو يقول: "الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الأُمَّهَاتِ"، وجعل البر بالأم مقدَّمًا على شرف الجهاد في سبيل الله والدار الآخرة، ونجد القرآن الكريم يقرن بين العبادة والبر بالوالدين، ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾.

وسوف تظل صورة الأم العظيمة آمنة بنت وهب تنتقل عبر الأجيال، وسوف تظل باسمها خالدة في نفوسنا، وفي أعماقنا، فيقول الشاعر أحمد شوقي:

تتباهى بك العصور وتسمو ... بك علياء بعدها عليـــاء
فهنيئًا به لآمنـــة الـــــ ... فضل الذي شرفت به حواء!

سلام على "آمنة بنت وهب"، سيدة الأمهات، ووالدة أعظم شخص، وأحب شخص إلى نفوسنا، خاتم الأنبياء محمد - ﷺ.

أم أيمـــن

ثم نرى هذه الشخصية الإسلامية، التي لها مكانتها ومنزلتها العالية في قلب رسول الله – صلي الله عليه – حاضنته أم أيمن.

هي بركة بنت ثعلبة، بن عمر، بن حصن، بن مالك، بن عمر النعمان، وهي أم أيمن الحبشية، مولاة رسول الله – ﷺ – وحاضنته. ورثها من أبيه، ثم أعتقها عندما تزوج بخديجة أم المؤمنين – رضي الله عنها – ، وكانت من المهاجرات الأُوَل.

وقد تزوج عبيد بن زيد من بني الحارث بن الخزرج أم أيمن، فولدت ولدًا واسْمَتْه أيمن، ولأيمن هجرة وجهاد، ولكنه استُشهد في يوم حنين، وكان مولى خديجه بنت خويلد. وكان الرسول – ﷺ – قد قال في أم أيمن: "**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَتَزَوَّجْ أُمَّ أَيْمَنَ**"، فحظي بها زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، الذي وهبته خديجة لرسول الله – ﷺ – ولكنه أعتقه، وقام بتزويجه لأم أيمن، وذلك بعد النبوة، فأنجبت له أسامة بن زيد، الذي سُمي بحِبِّ رسول الله.

منزلتها عند النبي – ﷺ:

وقد علمنا النبي – ﷺ – خلق الوفاء مع أمهاته؛ فقد كان للنبي – ﷺ – وقفة كريمة بعد انصرافه من غزوة الطائف منتصرًا غانمًا، ومعه من هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء، وما لا يعلم ما عدته من الإبل والشياه، نتلمس من خلالها عظيم إجلاله، واحترامه، وتوقيره لمقام الأمومة، التي كان يرعى حقها حق الرعاية، وذلك حين أتاه وفدُ هوازن ممن أسلموا، فقال قائلهم: يا رسول الله! إنما في الحظائر وخالاتُك وحواضِنُك.

وكانت حليمة أم النبي – ﷺ – من الرضاعة من بني سعد بن بكر، من هوازن، فمن رضاعه – ﷺ – من حليمة السعدية، أصبح له في هوازن تلك القرابات، فلمست ضراعتهم قلبهُ الكبير، واستجاب سريعًا لهذه الشفاعة بالأم الكريمة (حليمة السعدية) التي أرضعتهُ.

كذلك هذا الموقف يدل على تعظيم الرسول ﷺ للأمومة، وحسن معاملتة للناس، واحترامه الكبير لهم. حيث قال لوفد هوازن، ووفاؤه للأم الكريمة يملأ نفسه،: "**أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ فَإِذَا صَلَّيْتُ لِلنَّاسِ الظُّهْرَ فَقُومُوا فَقُولُوا إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا فَسَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ لَكُمْ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ الظُّهْرَ قَامُوا فَتَكَلَّمُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ قَالَ الْمُهَاجِرُونَ وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَتْ الْأَنْصَارُ وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**"، وهذا يدل على روح التعاون والحب الشديد لرسول الله، ويبين مدى تأثيرهم فيه، وتعلّقهم به.

أما أم أيمن فقد بقيت ملازمة له طيلة حياتها، وكانت كثيرًا ما تدخل السرور على قلبه – ﷺ – بملاطفتها إياه.

فقد حظيت أم ايمن بمنزلة عالية عند الرسول – ﷺ – وأكرمها أعز مكرمة لها في الدنيا، عندما قال رسول الله ﷺ فيها: "**أُمُّ أَيْمَنَ أُمِّي، بَعْدَ أُمِّي**"، وقوله – ﷺ – : "**هَذِهِ بَقِيَّةُ أَهْلِ بَيْتِي**"

وهذا إن دل فإنما يدل على مكانة أم أيمن عند رسول الله، وحبه الشديد لها؛ حيث اعتبرها من أهل بيته.

مواقف نتعلمها منها:

* مما رواه ابن سعد، عن عثمان بن القاسم، أنه قال: لما هاجرت أم أيمن، هاجرت بمفردها من مكة إلى المدينة سيرًا على الأقدام، وليس معها زاد، ولما أمست بالبصرة، ودون الرّوحاء، فعطشت، وليس معها ماء، وهي صائمة، فأجهدها العطش، فدُلي عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض، فأخذته، فشربته حتى رويت، فكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر، فما عطشت.

لقد أكرم الله سبحانه أم أيمن وهي صائمة، فقد أصابها العطش وهي لم يكن معها ماء فدلي عليها من السماء ماء فرويت، فهذا يدل على منزلة أم أيمن العالية، وفوزها بمحبة الله والرسول، وهذا كله يدل على رفق الله بعبادة، وسعة رحمة الخالق.

* كانت تشتاق لسيدنا جبريل عليه السلام؛ فعن أنس: أن أم أيمن بكت حين مات النبي ﷺ، فقيل لها: أتبكين؟ قالت: والله، لقد علمت أنه سيموت، ولكني إنما أبكي على الوحي إذ انقطع عن من السماء. وكذلك هذا القول يدل على حبها الشديد وتعلقها بالنبي ﷺ، والوحي.

* اشتركت في غزوة أحد، وكانت تسقي الماء، وتداوي الجرحى، وكانت تحثو التراب في وجوه الذين فروا من المعركة، وتقول لبعضهم: ((هاك المغزل.. وهات سيفك)).

* شهدت مع رسول الله – ﷺ – غزْوَتي خيبر وحنين.

* روت عن النبي – ﷺ – ، وروى عنها أنس بن مالك، والصنعاني، والمدني

وفاتها:

وبعد تلك الحياة المليئة بالجهاد، وصحبة النبي – ﷺ – صعدت روحها الطيبة إلى الرفيق الأعلى، وقد اختلف في تاريخ وفاتها، فقيل: توفيت بعد وفاة رسول الله – ﷺ – بخمسة، أو بستة أشهر، وقيل: توفيت بعد وفاة عمر بن الخطاب بعشرين يومًا، ودُفنت في المدينة المنورة.

بناته صلى الله عليه وسلم

أم كلثوم وزينب
ورقية وفاطمة

أربعة ريحانات خرجن من بيت واحد، وكل زهرة فيهن لها رونقها الخاص ورحيقها المميز لها، الذي يهدي وينير الطريق لمن بعدهم.

زينب بنت محمد

أما الأولى، فكانت مواقفها مع الرسول - ﷺ - ليست بأشهر وأعرف من تلك المواقف التي كانت من أختها السيدة فاطمة {رضي الله عنها}، فإن الناس لم يعرفوا عنها الكثير، بينما كانت من أهم من وقف بجانب النبي - ﷺ - أيام تعذيب قريش وبطشهم به، وأنها لم ترفض الإسلام كما فعل زوجها، بل كانت من أوائل من أسلم، وساهمت في إسلام زوجها أيضًا.

هي زينب بنت محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، خاتم النبيين. وزينب {رضي الله عنها} هي كبرى بنات الرسول - ﷺ - ، والأولى من بين أربع بنات، هن: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة {رضي الله عنهن}، وهي ثمرة الزواج السعيد الذي جمع بين خديجة بنت خويلد {رضي الله عنها}، ورسول الله - ﷺ. ولدت زينب {رضي الله عنها} في السنة الثلاثين من مولد محمد - ﷺ - ، أي أنه كان يبلغ من العمر ثلاثين عامًا عندما أصبح أبًا لزينب، التي أحبها كثيرًا، وكانت فرحته لا توصف برؤيتها. أما السيدة خديجة {رضي الله عنها}، فقد كانت السعادة والفرحة تغمرانها عندما ترى البِشر على وجه زوجها وهو يداعب ابنته الأولى.

واعتاد أهل مكة العرب عامة، والأشراف منهم خاصة، على إرسال صغارهم الرضع إلى مرضعات من البادية يعتنين بهم، وبعدما يقارب من السنتين يعيدوهم إلى ذويهم. وبعد أن عادت زينب {رضي الله عنها} إلى حضن أمها خديجة، عهدت بها إلى مربِّية تساعدها على رعايتها، والسهر على راحة ابنتها. وترعرعت زينب في كنف والدها، حتى شبّت على مكارم الأخلاق، والآداب والخصال، فكانت تلك الفتاة البالغة الطاهرة.

ومن ناحية أخرى، كانت هالة بنت خويلد، أخت خديجة {رضي الله عنها}، زوج رسول الله - ﷺ - تقبل على أختها بين الحين والآخر، فقد كانتا قريبتان من

بعضهما، وكانت هالة تعتبر السيدة خديجة أمًّا وأختًا لها، وكم حلمت بأن تكون زينب بنت أختها {رضي الله عنها} زوجة لابنها أبي العاص.

من ذلك نجد أن هالة أحسنت الاختيار؛ فهي زينب بنت محمد - ﷺ - ، أحد أشراف قريش، ومكانته كانت عظيمة بينهم، وأمها ذات المنزلة الرفيعة والأخلاق الكريمة أيضًا. أما زينب فلم تكن بحاجة إلى تعريف، فأخلاقها كانت من أهم ما جذب خالتها لها. كان أبو العاص قد تعرف إلى زينب من خلال الزيارات التي كان يقوم بها لخالته {رضي الله عنها}، ومن هناك عرف عن طباع ابنة خالته زينب وأخلاقها، فزاد من ترداده على بيت خالته. وفي إحدى الأيام، فاتحت هالة أختها بنوايا ابنها الذي أختار زينب بنت محمد - ﷺ - ذي المكانة العظيمة في قريش، لتكون شريكة حياته وزوجة له.

سرت بهذا الخبر السيدة خديجة {رضي الله عنها}، وهي ترى ابنتها وقد كبرت وأصبحت في سن الزواج، فأي أم لا تحلم بزواج ابنتها، وخاصة إذا كانت هي بكرها. أخبرت خديجة {رضي الله عنها} الرسول - ﷺ - بنوايا ابن أختها أبي العاص، ورغبته في التقدم لخطبة ابنته زينب {رضي الله عنها}، فما كان من رسول الله - ﷺ - إلا أن يرحب به ليكون زوجًا لابنته بعد موافقتها طبعًا؛ وكان ذلك لأن أبا العاص يلتقي نسبه من جهة الأب مع رسول الله - ﷺ - عند الجد الثالث عبد المناف، فهو أبو العاص ابن الربيع، بن عبد العزى، بن عبد شمس، بن عبد مناف، بن قصي، وكذلك فإن نسبه يلتقي من جهة الأم مع زينب بنت محمد - ﷺ - عند جده خويلد بن أسد بن عبد العزى.

بالإضافة إلى ذلك، فإن أبا العاص، على الرغم من صغر سنه، فقد عرف بالخصال الكريمة والأفعال النبيلة. وعندما ذهب أبو العاص إلى رسول الله - ﷺ - ليخطب ابنته، قال عنه الرسول - ﷺ - : إنه نعم الصهر الكفء. هذا يعني أن محمدًا - ﷺ لم يجد به عيبًا، وطلب من الخاطب الانتظار، حتى يرى رأي ابنته في ذلك، ولم يشأ الموافقة على أبي العاص قبل موافقة ابنته زينب عليه. وهذا موقف

من المواقف التي دلت على حرص الرسول - ﷺ - على المشاورة، ورغبته في معرفة رأي ابنته في هذا الموقف. وما كان من زينب {رضي الله عنها} إلا أن تسكت إعلانًا منها قبول ابن خالتها أبا العاص، ليكون زوجًا لها، تسهر على رعايته وراحته، وتشاركه فرحه وحزنه، وتوفر له أسباب السعادة.

ذاع خبر خطبة أبي العاص لزينب {رضي الله عنها} في أرجاء مكة كلها، ففرح الناس بذلك، وأخذوا يهنئون زينب بالزوج الذي اختارته، فهو من الرجال المعدودين مالاً وتجارة في مكة، وفي الوقت نفسه يهنأ أبو العاص بالفتاة التي اختارها لتكون زوجة له، وأمًّا لأطفاله في المستقبل. انتظر الجميع يوم زفاف هذين الزوجين، وعندما حان الموعد المنتظر، نُحرت الذبائح، وأُقيمت الولائم، وكانت فرحة كليهما لا توصف.

عاشت زينب حياة سعيدة في كنف زوجها، وكانت خير الزوجة الصالحة الكريمة لأبي العاص، وكان هو خير الزوج الفاضل الذي أحاطها بالحب والأمان. وشاء الله تعالى أن يكون ثمرة هذا الزواج السعيد طفلين أنجبتهما زينب {رضي الله عنها}، الأول على بن أبي العاص، الذي توفي صبيًّا، وكان رسول الله - ﷺ - قد أردفه وراءه يوم الفتح، والثانية أمامة بنت أبي العاص، التي تزوجها على بن أبي طالب {كرم الله وجهه}، بعد وفاة فاطمة الزهراء {رضي الله عنها}.

كان أبو العاص يعمل بالتجارة، فيضطر في بعض الأحيان للسفر إلى بلاد الشام، تاركًا زوجته عند أمه هالة بنت خويلد. ومن شدة حب أبي العاص لزوجته، كان يقول فيها في سفره، وبعيدًا عنها:

ذكرت زينب لما ورّكت أرمـــا فقلت: سقيا لشخصٍ يسكن الحرما
بنت الأمين جزاها الله صالحـــًا وكلّ بَعـــــلٍ سيثني بالذي عـــلِما

وفي مرة من مرات سفره حدث أمر جلل، فما هو؟

عندما نقول: إنه ليس من الغريب أن يكون محمد - ﷺ - نبي الأمة، فإننا نعني ذلك لعدة أسباب؛ فالرسول - ﷺ - كان يتمتع بأنبل الصفات، وأحسن الأخلاق؛ فقد

عُرف بصدقه وأمانته، ومساعدته للضعيف والفقير، وبتلك المحاسن التي أشتُهر بها، كان هو الرجل الأعظم والأكمل بين سادات قريش في مكة.

تبدأ قصة نزول الوحي عندما بدأ الرسول – ﷺ – ينشغل في التأمل في خلق الله، وهو في غار حراء، وكان يقضي أوقاتًا طويلة في تأمله وتدبره. وفي الجانب الآخر كانت زوجته السيدة خديجة {رضي الله عنها} تسأل عنه دائمًا، وترسل من يأتي بأخباره إليها، وكانت هي أكثر من يهيئ له الراحة والسعادة. وبعد نزول الوحي على رسول الله – ﷺ – ، أسرعت خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل تروي له كل ما حصل مع زوجها في غار حراء، فبشرها بأنه سيكون نبي الأمة المنتظر، ولكن وفي الوقت نفسه، فإنه سيتعرض للتعذيب والاضطهاد من قريش. سرت خديجة ببشارة النبي، وحزنت بعد معرفتها بأن قريش لن تتبع زوجها بالدين الذي سيدعو له، وعلى الرغم من ذلك، كانت السيدة خديجة {رضي الله عنها} أول من آمن بما جاء به الرسول – ﷺ – وأول من اتبعه.

وفي يوم نزول الوحي على سيدنا محمد – ﷺ – كان أبو العاص في سفر تجارة، فخرجت السيدة زينب {رضي الله عنها} إلى بيت والدها، تطمئن على أحوالهم، فإذا بها ترى أمها خديجة في حال غريب، بعد عودتها من عند ورقة بن نوفل. سألت زينب أمها عن سبب هذا الانشغال، فلم تجبها إلى أن اجتمعت خديجة {رضي الله عنها} ببناتها الأربع: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة {رضي الله عنهن}، وأخبرتهن بنزول الوحي على والدهم – ﷺ – وبالرسالة التي يحملها للناس كافة. لم يكن غريبًا أن تؤمن البنات الأربع برسالة محمد – ﷺ – فهو أبوهن، والصادق الأمين قبل كل شي، فأسلمن دون تردد، وشهدن أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وقررن الوقوف إلى جانبه ومساندته، وهذا أقل ما يمكن فعله.

أسلم عدد قليل من رجال مكة، من أمثال أبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفّان، والزبير بن العوام {رضي الله عنهم }، وهم من الذين أيدوه وتقاسموا معه ظلم قريش وبطشهم.

مواقف راسخة:

١) تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن:

لما عاد أبو العاص من سفره، وكان قد سمع من المشركين بأمر الدين الجديد، الذي يدعو إليه محمد - ﷺ، دخل على زوجته فأخبرها بكل ما سمعه، وأخذ يردد أقوال المشركين في الرسول - ﷺ - ودينه. في تلك اللحظة وقفت السيدة زينب {رضي الله عنها} موقف الصمود، وأخبرت زوجها بأنها أسلمت وآمنت بكل ما جاء به محمد - ﷺ - ، ودعته إلى الإسلام، فلم ينطق بشيء، وخرج من بيته تاركًا السيدة زينب بذهولها لموقفه غير المتوقع. وعندما عاد أبو العاص إلى بيته، وجد زوجته {رضي الله عنها} جالسة بانتظاره، فإذا به يخبرها بأن والدها محمد - ﷺ - دعاه إلى الإسلام، وترك عبادة الأصنام ودين أجداده. فرحت زينب ظنًّا منها أن زوجها قد أسلم، لكنه لم يكمل، ولم يبشرها بإسلامه كما ظنت، فعاد الحزن ليغطي ملامح وجهها الطاهر من جديد، وبالرغم من عدم إسلام أبي العاص، إلا أنه أحب محمدًا - ﷺ - حبًّا شديدًا، ولم يشك في صدقه لحظة واحدة، وكان مما قال لزوجته السيدة زينب {رضي الله عنها} في أحد الأيام، عندما دعته إلى الإسلام:

"وَاللهِ مَا أَبُوكِ عِنْدِي بِمُتَّهَمٍ، وَلَيْسَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَسْلُكَ مَعَكِ يَا حَبِيبَةُ فِي شِعْبٍ وَاحِدٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ لَكِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ زَوْجَكِ خَذَلَ قَوْمَهُ، وَكَفَرَ بِآبَائِهِ، إِرْضَاءً لامْرَأَتِهِ".

من هذا الموقف، نجد أن السيدة زينب {رضي الله عنها}، على الرغم من عدم إسلام زوجها، فقد بقيت معه تدعوه إلى الإسلام، وتقنعه بأن ما جاء به الرسول - ﷺ - هو من عند الله، وليس هناك أحق من هذا الدين لاعتناقه.

ومن ذلك، نجد أيضًا أن أبا العاص لم يجبر زوجته على تكذيب والدها - ﷺ - أو الرجوع إلى دين آبائه، وعبادة الأصنام، وحتى وإن أجبرها، فلم تكن هي لتكذِّب أباها إرضاءً لزوجها؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٢) السيدة زينب وموقفها من هجرة الرسول ﷺ:

بعد عام الحزن، الذي شهد فيه الرسول - ﷺ - ، ومعه بناته {رضي الله عنهن}، وفاة كل من السيدة خديجة {رضي الله عنها}، وعم الرسول - ﷺ - أبي طالب، زاد بطش وتعذيب كفار قريش للرسول - ﷺ - ؛ فقد كان محمد - ﷺ - يجد في السيدة خديجة ملجأ لبَثِّ همومه، وكان يشكو إليها من تعذيب رجال قريش، ويرى في عمه أبو طالب رجلاً معينًا وناصرًا على قومه، على الرغم من عدم إسلامه؛ لذلك كانت وفاة هذين الشخصين العزيزين مأساة للرسول ﷺ، فحزن لذلك حزنًا كبيرًا، وحزنت معه زينب، ومعها أخواتها الثلاث {رضي الله عنهن}، وقد وجّهن كل حنانهن وحبّهن لأبيهم - ﷺ - ؛ للتخفيف عنه.

كانت السيدة زينب {رضي الله عنها} تسمع في كل يوم عن مطاردة قريش للرسول - ﷺ - وتعذيبه، ومعه أصحابه، بشتى أنواع العذاب، وهي ترى صبر والدها، وما كان منها إلا أن تدعو له بالنصر على أعدائه، ونشر دعوة الإسلام في كل مكان، حتى كان اليوم الذي وصل فيه خبر هجرة محمد - ﷺ - ومعه الصديق أبو بكر {رضي الله عنه} إلى يثرب، ومطاردة رجال قريش لهما؛ لقتلهما، والقضاء على خاتم الرسل والإسلام. وكانت زينب تمضي الليالي مضطربة النفس، خائفة القلب على الرسول - ﷺ - ، ولم ترتح إلا بعد أن وصل خبر وصوله وصاحبه إلى يثرب آمنين سالمين. وبعد هجرة رسول الله - ﷺ - إلى المدينة المنورة، أمر بإحضار ابنتيه فاطمة وأم كلثوم {رضي الله عنهن} إلى دار الهجرة يثرب، أما رقية {رضي الله عنها}، فقد هاجرت مع زوجها من قبل، ولم يبق سوى زينب، التي كانت في مأمن من بطش المشركين وتعذيبهم، وهي في بيت زوجها الذي أمّنها على دينها.

٣) موقعة بدر.. فداء ووفاء:

بعد أن استولى المسلمون على قافلة كانت قادمة من بلاد الشام تحمل بضائع لأهل مكة، وقتل عمرو بن الحضرمي، وأخذ رجال القافلة كأسرى، اشتد غضب رجال قريش، وخاصة بعد أن وصلهم أن رسول الله - ﷺ - ينوي التعرض لقافلة

أبي سفيان. حشد رجال قريش وأشرافها الجيوش، وجرّوا العتاد والأسلحة؛ لمواجهة محمد - ﷺ - ومعه أصحابه؛ للقضاء عليهم في يثرب. في تلك الأثناء، وصلت قافلة أبي سفيان سالمة إلى مكة. ومن أشد الأمور غرابة، أن أبا العاص، زوج السيدة زينب {رضي الله عنها}، كان قد تحالف مع المشركين، وقرر الوقوف ضد رسول الله، ووالد زوجته - ﷺ - والمسلمين، في موقعة بدر، تاركًا زوجته وطفليه في مكة، غير آبه بزوجته، وطلبها منه البقاء في مكة، وعدم المشاركة مع المشركين. كانت زينب {رضي الله عنها} تدعو الله - سبحانه وتعالى - أن ينصر والدها على أعداء الله، وأن يحفظ زوجها من كل سوء، على الرغم من عصيانه لله. وبدأ القتال، وواجه المشركون بعددهم الكبير رسول الله - ﷺ - ، ومعه القلة المؤمنة، ولكن الله تعالى نصر رسوله والمؤمنون نصرًا كبيرًا، وهزم أعداء الإسلام، على الرغم من عدم التوافق العددي بين الجيشين. وصل خبر انتصار المسلمين إلى مكة، وكانت فرحة زينب بهذا الانتصار لا توصف، ولكن خوفها على زوجها لم يكمل تلك السعادة التي غمرتها، حتى علمت بأن زوجها لم يُقتل، وأنه وقع أسيرًا في أيدي المسلمين. وكان رسول الله - ﷺ - قد رأى أبا العاص، زوج ابنته، ضمن الأسرى، واستبقاه عنده، بعد أن أمر الصحابة أن يستوصوا بالأسرى خيرًا.

روي عن عائشة، أن أبا العاص شهد بدرًا مشركًا، فأسره عبد الله بن جبير الأنصاري، فلما أبلغت مكة بفداء أسراهم، جاء في فداء أبي العاص أخوه عمرو، وبعثت معه زينب بقلادة لها من جزع ظفار - أدخلتها بها خديجة - في فداء زوجها، فلما رأى رسول الله - ﷺ - القلادة عرفها، ورق لها، وقال: "**إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا فَعَلْتُمْ**". قالوا: نعم، فأخذ عليه العهد أن يخلي سبيلها إليه، ففعل. فهذه ابنة النبي - ﷺ - تفتدي زوجها حتى وهو مشرك، وها هو والدها - ﷺ - يتذكر زوجته المتوفاة، ويرق لها، فهل في شباب هذه الأمة من يفعل هذا مع زوجه وزوجته؟!

٤) امتثال لأمر الله تعالى:

بعد أن افتدت السيدة زينب {رضي الله عنها} زوجها الأسير عند رسول الله – ﷺ – طلب الرسول من أبي العاص أن يخلي سبيل زوجته إليه، ويجعلها تلحق بأبيها إلى دار الهجرة المدينة، فرضي أبو العاص على ذلك. وكانت السيدة زينب {رضي الله عنها}، ومعها طفلاها تتجهز للحاق بأبيها في دار الإسلام، بعد أن أرسل الرسول – ﷺ – زيد بن حارثة {رضي الله عنه}، وصحابيًّا آخر إلى بطن يأجج، على بعد ثمانية أميال من مكة، ليصطحبا السيدة زينب معهما إلى يثرب. وعندما عاد أبو العاص إلى مكة، أمر زوجته باللحاق بأبيها في المدينة، وأمر أخاه كنانة بن الربيع بمرافقة زوجته. قدم كنانة للسيدة زينب {رضي الله عنها} بعيرًا تركب عليه حتى تصل إلى بطن يأجج، ويكمل زيد بن حارثة الطريق إلى والدها محمد – ﷺ. خرجت السيدة زينب من مكة وهي تودعها آملة أن يخرج زوجها أبو العاص معها عائدًا إلى يثرب، مسلمًا مؤمناً بالله، مصدّقًا لرسوله. و على الرغم من كل ما رأته من وقوف زوجها ضد الرسول – ﷺ – بدلاً من الوقوف إلى جانبه ومساندته، فقد تمنت له الخير دائمًا، وهذه هي صفات السيدة زينب بنت نبي الأمة محمد – ﷺ – متسامحة محبة وداعية للخير دائمًا. وعندما علم رجال قريش بخبر خروج السيدة زينب إلى أبيها، لحق بها هبار بن الأسود، ومعه رجل آخر من قريش، فعندما لقيها روّعها برمحه، فإذا هي تسقط من فوق بعيرها على صخرة جعلتها تُسقط جنينها، فولّى الرجال من بعد ذلك هاربين. رجع كنانة بن الربيع إلى مكة ومعه زينب حتى ترتاح من الألم والمرض الذي ألمَّ بها، وبعد عدة أيام اصطحبها مرة أخرى إلى يثرب، حيث استقبلها أبوها استقبالاً حارًّا، وهو سعيد برؤيتها مجدّدًا مع طفليها علي وأمامة. أخبرت السيدة زينب {رضي الله عنها} رسول الله – ﷺ – بما فعله هبّار وصاحبه؛ فاشتد غضب الرسول – ﷺ – ، ثم أرسل رسول الله – ﷺ – بسرية لمعاقبة هبّار وصاحبه، وأمرهم بإحراقهما إن ظفروا بهما، ثم أرسل إليهم في اليوم التالي: "**أَنِ اقْتُلُوهُمَا؛ فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يُعَذِّبَ بِعَذَابِ اللهِ تَعَالَى**". وهكذا نجد أنه

حتى في رحلتها للهجرة، لاقت ما لاقت من نَصَبٍ وتعب وجهد. وأقامت السيدة زينب {رضي الله عنها} مع طفليها في كنف والدها - ﷺ - حتى العام السابع من الهجرة، ولأنها تحملت وآثرت رضا الله - عز وجل - فقد أرضاها الله، وجاءتها البُشرى.

٥) البُشرى:

قبل فتح مكة، وبينما كان أبو العاص عائدًا في قافلة من رحلة تجارة من بلاد الشام إلى مكة، حاملاً معه أموال قريش التي أؤتمن عليها، تعرضت لقافلته سَرِيَّة بقيادة زيد بن حارثة {رضي الله عنه}، ومعه مائة وسبعين رجلاً. تمكنت هذه السرية المبعوثة من رسول الله - ﷺ - من الحصول على كل ما تحمله تلك السَّرِيَّة من مال، وهرب عددٌ من رجال القافلة، وكان أبو العاص واحدًا منهم. وخشي أبو العاص على أموال قريش التي كان قد أؤتمن عليها، فلم يجد إلا أن يتوجه إلى المدينة ليلاً؛ ليستجير بالسيدة زينب {رضي الله عنها}، أن يُعيد رسول الله - ﷺ - مال قريش الذي استولوا عليها من القافلة، فأجارته في طلب ذلك المال. ولما خرج رسول الله - ﷺ كبّر وكبّر الناس معه، صرخت زينب من صُفّة النساء: أيها الناس، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سلم رسول الله - ﷺ من الصلاة - أقبل على الناس فقال: "**أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ سَمِعْتُم مَا سَمِعْتُ؟ قَالُوا نَعَمْ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِه مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ كَانَ، حَتَّى سَمِعْتُ مِنْهُ مَا سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ الله - ﷺ - ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَته، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّةُ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ، وَلا يَخْلُصْ إِلَيْكِ، فَإِنَّكِ لا تَحِلِّينَ لَهُ مَا دَامَ مُشْرِكًا**". اجتمع رسول الله - ﷺ مع أصحابه بأبي العاص، فاستشار صحابته أن يردوا على أبي العاص أمواله التي أخذوها من القافلة، وقال لهم: "**إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ أَصَبْتُمْ لَهُ مَالاً، فَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَرُدُّوا عَلَيْهِ الَّذِي لَهُ، فَأَنَا أُحِبُّ ذَلِكَ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَهُوَ فَيْءُ الله الَّذِي أَفَاءَ عَلَيْكُمْ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِه**". اتفق الصحابة جميعًا على إعادة المال لأبي العاص كاملاً دون نقصان. رجع أبو العاص بالمال إلى مكة،

وأعطى كل واحد من قريش نصيبه من المال، ثم قال: "**أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَاللهِ مَا مَنَعَنِي مِنَ الإِسْلامِ إِلاَّ أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ آكُلَ أَمْوَالَكُمْ، فَلَمَّا أَدَّاهَا اللهُ إِلَيْكُمْ، فَرَغْتُ مِنْهُمْ وَأَسْلَمْتُ**". جمع أبو العاص أغراضه وعاد إلى يثرب قاصدًا مسجد الرسول - ﷺ - فإذا بالرسول - ﷺ - وأصحابه يفرحون بعودته، ليكمل فرحتهم تلك بالإسلام. وبعد إسلام أبي العاص، أعاد الرسول - ﷺ - زينب إليه بنكاحه الأول، وقيل: إنه أُعيد إليها بنكاح جديد، وعاشا من جديد معًا، والإسلام يجمعهما. حقًا، إنها جوائز السماء التي يرسلها الله لعباده المتقين.

وفاتها - رضي الله عنها:

بعد عام من التمام شمل الزوجين أبي العاص والسيدة زينب {رضي الله عنها}، وبعد أن عاشا حياة كريمة سعيدة في دار الإسلام مع ولديها أمامة وعلي، بدأ المرض يزداد على السيدة زينب {رضي الله عنها}. وظلت زينب ملازمة الفراش فترة طويلة؛ من أثر ما تعرضت له من قبل هبّار بن الأسود، وهي في طريقها إلى يثرب للهجرة. ولم تستطع الأدوية أن تخفف من مرض زينب، فسلمت أمرها لله سبحانه وتعالى. في العام الثامن للهجرة توفيت السيدة زينب {رضي الله عنها}، وحزن رسول الله - ﷺ - حزنًا عظيمًا، وحزن معه زوجها أبو العاص، الذي وافته المنية بعد سنوات من وفاة زينب.

ولما ماتت زينب بنت الرسول - ﷺ - قال: "اغْسِلْنَهَا وِتْرًا، ثَلاثًا أَوْ خَمْسًا، وَاجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ كَافُورًا أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا غَسَّلْتُنَّهَا، فَأَعْلِمْنَنِي. فَلَمَّا غَسَّلْنَاهَا أَعْطَانَا حِقْوَةً، فَقَالَ: أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ".

بعد وفاة زينب {رضي الله عنها}، نزل رسول الله - ﷺ - في قبرها، وهو مهموم ومحزون، فلما خرج سري عنه، وقال: "**كُنْتُ أَذْكُرُ زَيْنَبَ وَضَعْفَهَا، فَسَأَلْتُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهَا ضِيقَ الْقَبْرِ وَغَمَّهُ، فَفَعَلَ، وَهَوَّنَ عَلَيْهَا**".

وبذلك تنتهي حياة هذه الشخصية العظيمة التي وقفت دائمًا مع الإسلام، ووالدها نبي الأمة محمد - ﷺ - تسانده وتواسيه، وهو يتعرض لتعذيب قريش. ضحت زينب لأجل زوجها، على الرغم من شركه ووقوفه في وجه الإسلام، حتى كانت هي سبب من أسباب إسلامه، ولكن حينما أمرها الله عز وجل بالهجرة، امتثلت لأمر الله، وهاجرت، فأعاد الله إليها زوجها مسلمًا كأفضل ما يكون.

رقيَّة بنـت محمد

أما الثانية، فسيرة حياتها – رضي الله عنها – ، تستوفي كل الكنوز الغنية بمكارم الفضائل ونفحات الإيمان، وهذه الكنوز التي تغني المرء عن الدراهم والدنانير، بل أموال الدنيا كلها؛ فسيرة السيدة رقية تجعل النفوس تحلق في أجواء طيبة، لا يستطيع أصحاب الأموال والدنيا الوصول إليها، ولو صرفوا الدنيا وما فيها؛ لأن من يتذوق طعم حياة لا الأبرار، يترفع عن الحياة التي لا تعرف إلا الدرهم والدينار.

ولدت رقية بنت رسول الله – ﷺ – الهاشمية، وأمها خديجة أم المؤمنين، ونشأت قبل بعثة الرسول – ﷺ. وقد استمدت رقية رضي الله عنها كثيرًا من شمائل أمها، وتمثلتها قولاً وفعلاً في حياتها، من أول يوم تنفس فيه صبح الإسلام، إلى أن كانت رحلتها الأخيرة إلى الله – عز وجل.

<u>الزواج فرحة أم انقباض؟</u>

لم يمضِ على زواج زينب الكبرى غير وقت قصير، إلا وطرق باب خديجة ومحمد، وفد من آل عبد المطلب، جاء يخطب رقية وأختها التي تصغرها قليلاً، لشابين من أبناء الأعمام، وهما (عُتبة وعُتيبة) ولدا أبي لهب، عم الرسول – ﷺ.

وأحست رقية وأختها انقباضًا لدى أمهما خديجة؛ فالأم تعرف من تكون أم الخاطبين زوجة أبي لهب، ولعل كل بيوت مكة تعرف من هي أم جميل بنت حرب، ذات القلب القاسي، والطبع الشرس، واللسان الحاد. ولقد أشفقت الأم على ابنتيها من معاشرة أم جميل، لكنها خشيت اللسان السليط الذي سينطلق متحدثًا بما شاء من حقد وافتراء، إن لم تتم الموافقة على الخطوبة والزواج، ولم تشأ خديجة أيضًا أن تُعكّر على زوجها طمأنينته وهدوءه بمخاوفها من زوجة أبي لهب، وتمت الموافقة، وبارك محمد ابنتيه، وأعقب ذلك فرحة العرس والزفاف، وانتقلت العروسان في حراسة الله إلى بيت آخر، وجو جديد.

زواج لم يتم:

ودخلت رقية مع أختها أم كلثوم بيت العم، ولكن لم يكن مكوثهما هناك طويلاً، فما كاد رسولنا محمد – ﷺ – يتلقى رسالة ربه، ويدعو إلى الدين الجديد، إلا واستبد بعمهما الغضب والحنق، ثم أرسل إلى ولديه عُتبة وعُتيبة، وقال لهما: إنَّ محمدًا قد سبّهما، ثم التف أبو لهب إلى ولده عتبة، وقال في غضب: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنة محمد، فطلقها قبل أن يدخل بها. وهكذا لم يتم هذا الزواج، وصبرت رقية واحتسبت ذلك عند الله عز وجل.

من ترك شيء لله:

شاءت قدرة الله لرقية أن تُرزق بعد صبرها زوجًا صالحًا كريمًا من النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ذلك هو عثمان بن عفان، صاحب النسب العريق، والطلعة البهية، والمال الموفور، والخلق الكريم. وعثمان بن عفان أحد أوفر فتيان قريش مالاً، وجمالاً، وعزًّا، ومنعةً، تصافح سمعه همسات دافئة، تدعو إلى عبادة العليم الخبير، الله رب العالمين، والذي أعزه الله في الإسلام سبقًا وبذلاً وتضحيةً، وأكرمه بما يقدم عليه من شرف المصاهرة، وما كان الرسول الكريم ليبخل على صحابي مثل عثمان بمصاهرته، وسرعان ما استشار ابنته، ففهم منها الموافقة عن حب وكرامة، وتم لعثمان نقل عروسه إلى بيته، وهو يعلم أن قريشًا لن تشاركه فرحته، وسوف تغضب عليه أشد الغضب. ولكن الإيمان يفديه عثمان بالقلب، ويسأل ربه القبول.

ودخلت رقية بيت الزوج العزيز، وهي تدرك أنها ستشاركه دعوته وصبره، وأن سُبُلاً صعبة سوف تسلكها معه دون شك، إلى أن يتم النصر لأبيها وأتباعه. وسعدت رقية – رضي الله عنها – بهذا الزواج من التقي النقي عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ، وولدت رقية غلامًا من عثمان، فسماه عبد الله، واكتُني به.

أول بيت يهاجر:

ودارت الأيام لكي تختبر صدق المؤمنين، وتشهد أن أتباع محمد قد تحملوا الكثير من أذى المشركين؛ فقد كان المؤمنون، وفي مقدمتهم رقية وعثمان – رضي الله عنهما – في كرب عظيم، فكفار قريش يُنزلون بهم صنوف العذاب، وألوان البلاء والنقمة. ولم يكن رسول الله – ﷺ – بقادر على إنقاذ المسلمين مما يلاقونه من البلاء المبين، وجاءه عثمان وابنته رقية يشكوان مما يقاسيان من فجرة الكافرين، ويقرران أنهما قد ضاقا باضطهاد قريش وأذاهم.

وجاء نفر آخرون ممن آمن من المسلمين، وشكوا إلى الرسول الكريم – ﷺ – ما يجدون من أذى قريش، ومن أذى أبي جهل، زعيم الفجار. ثم أشار النبي عليهم بأن يخرجوا إلى الحبشة، إذ يحكمها ملك رفيق لا يظلم عنده أحد، ومن ثم يجعل الله للمسلمين فرجًا مما هم عليه الآن.

وأخذت رقية وعثمان – رضي الله عنهما – يعدان ما يلزم للهجرة، وترك الوطن الأم مكة أم القرى. ويكون عثمان ورقية أول بيت من المسلمين هاجر على قرب عَهدهما بالزواج، ونظرت رقية مع زوجها نظرة وداع على البلد الحبيب، وتمالكت دمعها قليلاً، ثم صعب ذلك عليها؛ فبكت وهي تعانق أباها، وأمها، وأخواتها الثلاث: زينب، وأم كلثوم، والصغيرة فاطمة، ثم سارت راحلتها مع تسعة من المهاجرين، مفارقة الأهل والأحباب، وعثمان هو أول من هاجر بأهله، ثم توافدت بعد ذلك بعض العزاء والمواساة، لكنها ظلت أبدًا تنزع إلى مكة، وتحن إلى من تركتهم بها، وظل سمعها مرهفًا يتلهف إلى أنباء أبيها الرسول – ﷺ – ، وصحبة الكرام. ولقد أثرت شدة الشوق والحنين على صحتها، فأسقطت جنينها الأول، وخِيْف عليها من فرط الضعف والإعياء، ولعل مما خفف عنها الأزمة الحرجة، رعاية زوجها، وحبه، وعطف المهاجرين وعنايتهم.

وانطلق المهاجرون نحو الحبشة تتقدمهم رقية وعثمان، حتى دخلوا على النجاشي، فأكرم وفادتهم، وأحسن مثواهم، فكانوا في خير جوار، لا يؤذيهم أحد،

ويقيمون شعائر دينهم في أمن، وأمان، وسلام. وكانت رقية – رضي الله عنها – في شوق واشتياق إلى أبيها رسول الله، وأمها خديجة، ولكن المسافة بعيدة، وإن كانت الأرواح لتلتقي في الأحلام.

وجاء من أقصى مكة رجل من أصحاب رسول الله، فاجتمع به المسلمون في الحبشة، وأصغوا إليه أسماعهم، حيث راح يقص عليهم خبرًا أثلج صدورهم، وهو خبر إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب، وكيف أن الله عز وجل قد أعز بهما الإسلام. واستبشر المهاجرون بإسلام حمزة وعمر، فخرجوا راجعين، وقلوبهم تخفق بالأمل والرجاء، وخصوصًا سيدة نساء المهاجرين، رقية بنت رسول الله، التي تعلق فؤادها وأفئدة المؤمنين بنبي الله محمد – ﷺ.

العودة إلى مكة:

وصلت إلى الحبشة شائعات كاذبة، تتحدث عن إيمان قريش بمحمد، فلم يقو بعض المهاجرين على مغالبة الحنين المستثار، وسَرعان ما ساروا في ركبٍ متجهين نحو مكة، ويتقدمهم عثمان ورقية، ولكن يا للخيبة المريرة، فما أن بلغوا مشارف مكة، حتى أحاطت بهم صيحات الوعيد والهلاك. وطرقت رقية باب أبيها تحت جُنح الظلام، فسمعت أقدام فاطمة وأم كلثوم، وما أن فتح الباب حتى تعانق الأحبة، وانهمرت دموع اللقاء، وأقبل محمد – ﷺ – نحو ابنته يحنو عليها، ويسعفها لتثوب إلى السكينة والصبر، فالأم خديجة قد قاست مع رسول الله وآل هاشم كثيرًا من الاضطهاد، مع أنها لم تهاجر، وقد ألقاها المرض طريحة الفراش، لتودّع الدنيا وابنتها ما تزال غائبة في الحبشة.

عودة رقية إلى الحبشة:

وعندما علمت قريش برجوع المؤمنين المهاجرين، عملت على إيذائهم أكثر من قبل، واشتدت عداوتهم على جميع المؤمنين، مما جعل أصحابه – ﷺ – في قلق، ولكنهم اعتصموا بكتاب الله، مما زاد من ضراوة المشركين، فزادوا من عذابهم. وراح الفجرة الكفرة، يشددون على المسلمين في العذاب، وفي السخرية، حتى

ضاقت عليهم مكة، وقاسى عثمان بن عفان من ظلم أقربائه وذويه الكثير، ولكن عثمان صبر، وصبرت معه رقية، مما جعل قريشًا تضاعف وجبات العذاب للمؤمنين، فذهبوا إلى رسول الله - ﷺ - يستأذنونه في الهجرة إلى الحبشة، فأذِن لهم، فقال عثمان بن عفان - رضي الله عنه - : يا رسول الله، فهجرتنا الأولى، وهذه الآخرة إلى النجاشي، ولست معنا. فقال رسول الله - ﷺ - : " **أَنْتُمْ مُهَاجِرُونَ إِلَى اللهِ وَإِلَيَّ، لَكُمْ هَاتَانِ الْهِجْرَتَانِ جَمِيعًا**". فقال عثمان: فحسبنا يا رسول الله.

وهاجرت رقية ثانية مع زوجها إلى الحبشة، مع المؤمنين الذين بلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً، وبهذا تنفرد رقية ابنة رسول الله بأنها الوحيدة من بناته الطاهرات، التي تُكتب لها الهجرة إلى بلاد الحبشة، ومن ثم عُدّت من أصحاب الهجرتين. قال الإمام الذهبي - رحمه الله - عن هجرة رقية وعثمان - رضي الله عنهما - : هاجرت معه إلى الحبشة الهجرتين جميعًا، وفيهما قال رسول الله - ﷺ - : "**إِنَّهُمَا أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَى اللهِ بَعْدَ لُوطٍ**".

ثاني الهجرتين:

ولم يطل المقام برقية في مكة، ففي العام الثالث عشر للبعثة، كان أكثر المؤمنين من أهل البيت الحرام قد وصلوا إلى المدينة المنورة، ينتظرون نبيهم محمدًا ليأتي إليهم، وإلى إخوتهم من الأنصار مهاجرًا مجاهدًا. وهناك، في المدينة، جلست رقية مع زوجها عثمان، ووضعت مولودها الجميل عبد الله، وراحت تملأ عينيها من النظر إليه، لكي تنسى مرارة فقدها لجنينها، ولوعة مصابها في أمها، وما قاسته في هجرتها، وهي بطلة الهجرتين، من شجن الغربة.

ويبدأ صراع جديد بين الحق والباطل، وترى رقية بوادر النصر لأبيها؛ فالله عز وجل قد أذِن له وللمؤمنين أن يقاتلوا المشركين؛ ليدعموا بنيان المجتمع الإسلامي الجديد، الذي بنوه بأيديهم في يثرب، ولكن طريق الصبر لم يَنْتَهِ بعد؛ فقد كان عبد الله ابن المجاهدَيْن العظيمين ينمو نموًّا طيبًا، فما بال عبد الله يميل نحو الهبوط، وتذبل ريحانته بعد أن كان وردة يفوح عطرها، ويزكو أريجها. وأخذ الزوجان

يرقبان بعيون دامعة، وقلب حزين، سكرات الموت التي يغالبها الصغير بصعوبة تقطع الفؤاد. ومات ابن رقية، بعد أن بلغ ستّ سنين، ومات بعد أن نقر الديك وجهه (عينه)، فتورم وطمر وجهه، ومرض، ثم مات، وبكته أمه وأبوه، وافتقد جده بموته ذلك الحمل الوديع، الذي كان يحمله بين يديه كلما زار بيت ابنته، ولم تلد رقية بعد ذلك.

وفاتها رضي الله عنها:

ولم يكن لرقية سوى الصبر، وحسن التجمل به، ولكن كثرة ما أصابها في حياتها من مصائب عند أم جميل، وفي الحبشة، كان لها الأثر في أن تمتد إليها يد المرض والضعف، ولقد آن لجسمها أن يستريح على فراش أعده لها زوجها عثمان، وجلس بقربها الزوج الكريم يمرِّضها ويرعاها، ويرى في وجهها علامات مرض شديد، وألم قاس تعانيه، وراح عثمان يرنو بعينين حزينتين إلى وجه رقية الذابل، فيغص حلقه آلامًا، وترتسم الدموع في عينيه، وكثيرًا ما أشاح بوجهه، لكي يمسك دمعة تريد أن تنهمر، ولقد كانت رقية تحس هذا الشيء، فتتجلد وتبذل ما أمْكَنَها، لكي تبتسم له ابتسامة تصْطَنِعها، حتى تعود إليه إشراقة وجهه النضير، وتنهال على رأسه الذكريات البعيدة، ورأى رقية وهي في الحبشة تحدث المهاجرات حديثًا يُدخل البهجة إلى النفوس، ويبعث الآمال الكريمة في الصدور، وتقص عليهن ما كانت تراه من مكارم أبيها رسو ل الله – ﷺ – ، وحرّكت هذه الذكريات أشجان عثمان، وزادت في مخاوفه، وكان أخشى ما يخشاه أن تموت رقية، فينقطع نسبه لرسول الله – ﷺ.

ورنا عثمان ثانية إلى وجه زوجته الذابل، ففرت سكينته، ولفَّه حزن شديد، ممزوج بخوف واضطراب، حيث كانت الأنفاس المضطربة التي تلتقطها رقية، تدل على فناء صاحبتها. كانت رقية تغالب المرض، ولكنها لم تستطع أن تقاومه طويلاً، فأخذت تجود بأنفاسها، وهي تتلهف لرؤية أبيها، الذي خرج إلى بدر، وتتلهف لرؤية أختها زينب في مكة، وجعل عثمان يرنو إليها من خلال دموعه، والحزن يعتصر

قلبه، مما كان أوجع لفؤاده أن يخطر على ذهنه، أنّ صلته الوثيقة برسول الله - ﷺ - توشك أن تنقطع. وكان مرض رقية - رضي الله عنها - الحصبة، ثم بعد صراعها مع هذا المرض، لحقت رقية بالرفيق الأعلى، وكانت أول من لحق بأم المؤمنين خديجة من بناتها، لكن رقية توفيت بالمدينة، وخديجة توفيت بمكة، قبل بضع سنين، ولم تَرَها رقية. وتوفيت رقية، ولم تَرَ أباها رسول الله، حيث كان ببدر مع أصحابه الكرام، يعلون كلمة الله، فلم يشهد دفنها - ﷺ.

وحُمِل جثمان رقية - رضي الله عنها - على الأعناق، وقد سار زوجها خلفه، وهو حزين، حتى إذا بلغت الجنازة البقيع، دُفِنت رقية هنالك، وقد انهمرت دموع المشيعين، وسوّي التراب على قبر رقية بنت رسول الله - ﷺ - ، ثم عاد المجاهدون من بدر يبشرون المؤمنين بهزيمة المشركين، وأسر أبطالهم. وفي المدنية المنورة خرج رسول الله إلى البقيع، ووقف على قبر ابنته يدعو لها بالغفران.

لقد ماتت رقية ذات الهجرتين، قبل أن تسعد روحها الطاهرة بالبشرى العظيمة بنصر الله، ولكنها سعدت بلقاء الله في داره.

ولما توفيت رقية بكت النساء عليها. في رواية ابن سعد: قال: لما ماتت رقية بنت رسول الله، قال: "الحقي بسلفنا عثمان بن مظعون"، فبكت النساء عليها؛ فجعل عمر يضربهن بسوطه، فأخذ النبي - ﷺ - بيده، وقال: "دَعْهُنَّ يَبْكِينَ"، ثم قال: "**ابْكِينَ، وَإِيَّاكُنَّ وَنَعِيقَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ مَهْمَا يَكُنْ مِنَ الْقَلْبِ وَالْعَيْنِ، فَمِنَ اللهِ وَالرَّحْمَةِ، وَمَهْمَا يَكُنْ مِنَ الْيَدِ وَاللِّسَانِ، فَمِنَ الشَّيْطَانِ**"؛ فقعدت فاطمة على شفير القبر إلى جنب رسول الله - ﷺ - ، فجعلت تبكي، فجعل رسول الله يمسح الدمع عن عينها بطرف ثوبه.

رحم الله رقية بطلة الهجرتين، وصلاةً وسلامًا على والدها في العالمين، ورَحِمَ معها أمها، وأخواتها، وابنها، وشهداء بدر الأبطال، وسلام عليها وعلى المجاهدين،

الذين بذلوا ما تسع لهم أنفسهم به من نصره لدين الله، ودفاع عن كلمة الحق والتوحيد إلى يوم الدين، و السعي إلى إعلاء كلمة الله.

أم كلثوم بنت محمد

أما الثالثة، فقد تركها زوجها وهي بعد لم يدخل بها، وفي ركب التضحية من أجل الإسلام تحملت الهموم والأحزان، من أجل أسمى دعوة على وجه الأرض، فهي فتاة مثل بقية الفتيات، بل إنها من أشرف الفتيات، ولكن سلعة الله غالية تستحق الفداء.

هي أم كلثـوم بنت رسول الله - ﷺ - أشرف خلق الله، و أمها السيدة خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها - التي أقرئها جبريل السلام من الله - عز وجل - ، فهل أشرف من هذا نسب؟ وهل هناك فتاة تحلم بمثل هذين الأبوين العظيمين؟ أي نشأة كريمة تلك التي نشأتها في هذا البيت؟ وقد قيل: إنها ولِدَت بعد فاطمة، وأسلمت مع أمها وأخواتها مع بزوغ فجر الدعوة الإسلامية، أي أنها من المسلمات الأوائل، وهذا ليس ببعيد على من نشأت في مثل هذا البيت.

ولكن الأيام كانت تدخر لها ابتلاءً شديدًا على أي فتاة، هل تعرفون ما هو؟ ولكن قبل أن نتحدث عنه، نريد أن نستشعره معها، ونتخيل أنفسنا لو كنا فعلاً في مكانها، ماذا سيكون شعورنا؟ وكيف سنتصرف؟ أمّا عنها، فهي صبرت وتحملت، فقد تزوّجها عتيبة بن أبي لهب قبل البعثة، ولم يدخل عليها، ودخلت أم كلثوم مع أختها رقية بيت العم، ولكن لم يكن مكوثهما هناك طويلاً، فما كاد رسولنا محمد - ﷺ - يتلقى رسالة ربه، ويدعو إلى الدين الجديد، وراح سيدنا رسول الله، يدعو إلى الإسلام سرًّا، فاستجاب لله - عز وجل - من شاء من الرجال، ومن النساء والولدان. ويبدو أن عمّات رسول الله قد نَصَحْنَهُ - ﷺ - ألا يدعو عمّه أبا لهب؛ لكيلا تثور هائجته، فلا يدري بما يتكلم، وحتى لا تنفث زوجته أم جميل سمومها في بنات النبي؛ فقد كان أبو لهب وأولاده ألعوبة تتحكم فيهم أم جميل، التي تنهش الغيرة قلبها إذا ما أصاب غيرها خير. وقد قام رسول الله بدعوة الناس إلى الإسلام، وعندما علم أبو لهب بذلك، أخذ يضحك ويسخر من رسول الله، ثم رجع إلى البيت، وراح يروي لامرأته الحاقدة ما كان من أمر محمد، ابن أخيه، الذي أخبرهم أنه

رسول الله إليهم؛ ليخرجهم من الظُلمات إلى النور، وإلى صراط العزيز الحميد، وشاركت أم جميل زوجها في سخريته واستهزائه.

ولعب شيطان الحقد في نفسها، وأحست برغبة عنيفة في داخلها للانتقام من أقرب الناس إليها، من أم كلثوم ورقية – رضي الله عنهما – ، وإن كان هذا الانتقام سيؤذي ولَدَيْها، ولكنها مادامت ستفرغ كل حقد ممكن لديها، وتقيء كل عصارة كيدها في جوانب نفسها، فلا مانع من ذلك، حتى تحطم بزعمها الدعوة المحمدية، وسلكت ضد سيدنا رسول الله أبشع السبل في اضطهاده، وزادت على ذلك أن أرسلت إلى أصهار رسول الله تطلب منهم مفارقة بنات الرسول، أما أبو العاص، فرفض طلبهم، مؤثرًا ومفضّلاً صاحبته زينب على نساء قريش جميعًا، وقد آمن في نهاية المطاف، وجمع الله شمل الأحبة. وأما عُتبة وعُتيبة، فلقد تكفلت أم جميل بالأمر، دون أن تحتاج لطلب من أحد.

وطفقت أم جميل تنفث سمومها في كل مكان تكون فيه، ولم تكتف بكشف خبيئة نفسها الخبيثة، ولكنها راحت تزين للناس مقاومة الدعوة، واجتثاث أصولها؛ لأنها تفرق بين المرء وأخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، وفصيلته التي تؤويه. ولما انتهت من طوافها، وهي تزرع بذور الفتنة، وتبغي نشر الحقد والفساد، راحت تجمع الحطب لتضعه في طريق رسول الله – ﷺ – لتؤذيه، وفي هذا دليل على بخلها الذي جُبلت عليه.

ولكن القرآن الكريم تنزّل على الحبيب المصطفى – ﷺ – نديًّا رطبًا، ونزل القرآن عليه يشير إلى المصير المشؤوم لأم جميل بنت حرب، وزوجها المشؤوم أبي لهب، قال الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥ ﴾[1].

---

1) المسد: ١ – ٥

وكانت أم كلثوم ورقية - رضي الله عنهما - في كنف ابنَي عمهما، لما نزلت سورة المسد، وذاعت في الدنيا بأسرها، ومشي بعض الناس بها إلى أبي لهب وأم جميل، فاربدَّ وجه كل واحد منهما، واستبد بها الغضب والحنق، ثم أرسلا ولديهما عُتبة وعُتيبة، وقالا لهما: إنَّ محمدًا قد سبَّهما، ثم التفت أبو لهب إلى ولده عتبة، وقال في غضب: رأسي من رأسك حرام، إن لم تطلق ابنة محمد؛ فطلقها قبل أن يدخل بها. وأما عُتيبة، فقد استسلم لثورة الغضب، وقال في ثورة واضطراب: لآتين محمدًا فلأوذينَّه في ربه. وانطلق عُتيبة بن أبي لهب إلى رسول الله - ﷺ - فشتمه، ورد عليه ابنته، وطلقها، فقال رسول الله: "**اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلابِكَ**"، واستُجيبت دعوة الرسول - ﷺ - ، فأكل الأسد عُتيبة في إحدى أسفاره إلى الشام.

ولم يكف أم جميل الحاقدة أن ردت أم كلثوم ورقية - رضي الله عنهما - مطلّقتين، بل خرجت ومعها زوجها أبو لهب، الذي شذ عن الأعمام وآل هاشم؛ فقد جمع بين الكفر وعداوة ابن أخيه، وسارت وإياه يشتمان محمدًا، ويؤذيانه، ويؤلِّبان الناس ضده، وقد صبر الرسول - ﷺ - على أذاهم. وكذلك فعلت رقية وأختها، صبرتا مع أبيهما، وهما اللتان تعوَّدَتَا أن تتجملا بالصبر قبل طلاقهما، لما كانت تقوم به أم جميل من رصد حركاتهما، ومحاسبتهما على النظرة، والهمسة، واللفتة، كما أنها ظلت سنوات دون زواج، حتى أبدلها الله خيرًا منه.

هجرتها رضي الله عنها:

وعندما أمر الله تعالى نبيه بالهجرة، أذعنت لأمر الله - عز وجل - واستسلمت له، وهاجرت أم كلثوم مع أختها فاطمة الزهراء، وزوجة الرسول - ﷺ - سودة بنت زمعة، ثاني زوجاته بعد خديجة - رضي الله عنها - ، بكل شوق وحنان إلى المدينة، فاستقبلهن الرسول - ﷺ - ، وأتى بهنّ إلى داره التي أعدّها لأهله، بعد بناء المسجد النبوي الشريف.

عقد إلهي من السماء:

وكأنما نرى نفس المشهد يتكرر، جاءت البشرى تزفها الفرحة من السماء، لمن صبرت واحتسبت، ولكنه أيضًا كان يحمل جُرحًا ليس بالهين؛ فقد تزوجت زوج شقيقتها المتوفاة السيدة رقية.. تزوجت أشد الناس حياءً.. تزوجت ذي لنورين.. تزوجته بأمر إلهي من فوق سبع سماوات؛ فقد زوّج رسول الله - ﷺ - أم كلثوم لعثمان بن عفان - رضي الله عنه - في ربيع الأول، سنة ٣ للهجرة، وكان هذا الزواج بأمر من الله تعالى؛ فقد روي عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: " **أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُزَوِّجَ عُثْمَانَ أُمَّ كُلْثُومٍ، عَلَى مِثْلِ صَدَاقِ رُقَيَّةَ، وَعَلَى مِثْلِ صُحْبَتِهَا** "، فياله من عقد زواج! ويالها من بركة!

وأصبح عثمان بزواجه هذا، وبزواجه السابق من شقيقتها رقية، يسمى بذي النورين، وقد عاشت أم كلثوم عند عثمان ست سنوات، ولكنها لم تُرزق زينة الحياة الدنيا، ولم يكن لها من الأولاد أحد، فهذه حياتها تبدو مليئة بالابتلاءات، فكل واحد منها يكفي لتحيا عليه المرأة حزينة طوال عمرها، إذا لم تحتسبها عند الله - عز وجل - ، ولكن أم كلثوم كانت مثال من تقبّلت قضاء الله وقدره.

وفاتها - رضي الله عنها - :

توفيت - رضي الله عنها - في شهر شعبان، سنة تسع من الهجرة، وقد جلس الرسول - ﷺ - على قبرها، وعيناه تدمعان حُزنًا على ابنته الغالية أم كلثوم، فقال: " **هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ؟** " فقال أبو طلحة: أنا. قال له الرسول: "**انْزِلْ**"، فنزل أبو طلحة في قبرها - رضي الله عنها وأرضاها.

وقد روي عن الرسول ﷺ، أنه قال بعد وفاة أم كلثوم - رضي الله عنها - ، "**لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَالِثَةٌ زَوَّجْتُهَا عُثْمَانَ**" رضي الله عنه.

فاطمة الزهراء

في ظلال أبيها رسول الله – صلّى الله عليه وآله وسلم – وبين أحضان أمها الطاهرة، خديجة بنت خويلد، ولدت فاطمة، ودرجت في بيت النبوة، وترعرعت في ظلال الوحي، ورضعت مع لبن خديجة، حب الإيمان، ومكارم الأخلاق، وحنان الأب الرسول – صلّى الله عليه وآله وسلم – ، والأم، أم المؤمنين الطاهرة. وهكذا عاشت فاطمة في ظلال هذا الجو الروحي، والسمو العائلي، وتشبعت روحها بالحنان النبوي الكريم. ونشأت السيدة فاطمة وتربت في بيت النبوة، فتشرّبت من جوّه الروحاني، وعبقه الإيماني، ما جعلها تتحلى بالأخلاق الحميدة الفاضلة، والعادات الطيبة الحسنة.

هي فاطمة بنت محمد، بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، القرشية. أبوها رسول الله – ﷺ – وخاتم الأنبياء والمرسلين، ووالدتها خديجة بنت خويلد، بن أسد، القرشية، وألقابها: الزهراء، والبتول، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والراضية، والمرضية، وكنيتها: أم الحسن وأم الحسين، وكان يُطلق عليها أم النبي – ﷺ – ، أو أم أبيها؛ لأنها عاشت مع والدها الرسول – عليه السلام – بعد موت والدتها، تراعي أمْره، وتشد من أزره، وزوجها هو أمير المؤمنين، وفارس الإسلام، على بن أبي طالب القرشي الهاشمي – كرّم الله وجهه – ، وابناها هما الحسن والحسين، سيّدا شباب أهل الجنة، رضوان الله عليهم أجمعين.

طفولة وجهاد:

شاء الله تعالى أن تبدأ فاطمة طفولتها الطاهرة، في مرحلة من أشد مراحل الدعوة الإسلامية ضراوة ومحنة، وأكثرها قسوة وأذى لأمها وأبيها؛ فلقد ولدت السيدة فاطمة قبل البعثة النبوية بخمس سنوات، وكانت أصغر أخواتها، بعد زينب، ورقية، وأم كلثوم، ولما بلغت الخامسة من عمرها، بُعث والدها رسول الله – ﷺ – ، فتفتحت عيناها على الإسلام، وشاهدت بداياته الأولى، وانتشاره بين قومها رويدًا

رويدًا، وكانت تتبع أباها أحيانًا وهو يسعى إلى أندية قريش ومحافلها، يبشّر بالإسلام، ويدعو له، وترى ما يلقاه من ظلمهم وأذاهم الكثير والكثير.

لقد فتحت عينيها في ضراوة الجهاد بين الطليعة المؤمنة، وقريش الوثنية الجائرة،وها هي قريش تفرض المقاطعة والحصار على رسول الله، وأعمامه بني هاشم، وأصحابه من الدعاة وطلائع الجهاد؛ فيدخل رسول الله – صلّى الله عليه وآله وسلم – شِعب أبي طالب، وتدخل معه زوجته المجاهدة، رفيقة حياته، وشريكته في جهاده، وتدخل معهم فاطمة، وتحاصرهم قريش ثلاث سنين، ولحقها فيه معهم من التعب والمشقة ما أثّر على نفسيتها وطاقتها في مستقبل الأيام. كذلك كان لموت والدتها السيدة خديجة وقع بالغ عليها، وكان عمرها لا يتجاوز الخامسة عشرة، فاشتدت المصائب عليها، وبلغت ذروتها، الأمر الذي صقلها وزادها نضجًا وتجربة، وشهدت بعد وفاة والدتها – رحمها الله – زواج والدها الرسول – عليه السلام – من السيدة سودة بنت زمعة، التي احتضنتها مع أخواتها بكل حب وحنان.

ولما بلغت الثامنة عشر من عمرها، هاجرت مع أختها أم كلثوم، والسيدة سودة، إلى المدينة المنورة، وهناك استقر بها المقام في بيت النبوة الجديد، بجوار المسجد النبوي الشريف.

زواجها – رضي الله عنها – :

وفي أواخر السنة الثانية للهجرة، وكان عمرها نحو عشرين عامًا، خطبها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ولكن رسول الله – ﷺ – ردّهما بلطف، وقال لكل منهما: انتظر القضاء.

ثم خطبها ابن عمها على بن أبي طالب، فتهلل له وجه النبي – ﷺ – ووافق على زواجهما، وكان مهرها أربعمائة وثمانين درهمًا، فأوصى النبي عليًّا أن يجعل ثلثيهما في الطيب، وثلثهما في المتاع، وخصص لهما الرسول حجرة خلف بيت السيدة عائشة من جهة الشمال، مقابل باب جبريل، وكان فيه خوخة على بيت النبي – عليه السلام – يطل منها عليهما، فجهزها والدها – عليه السلام – وزوّجها لعلي

بجهاز متواضع، حيث كان فرشها بالرمل الناعم، وفيه من الأثاث: فراش، ووسائد حشوها ليف، وجلد شاة للجلوس عليه، ورحى يد، ومنخل، ومنشفة، وقدح، وقربة صغيرة لتبريد الماء، وحصير، وقد اتخذت لها في بيتها محرابًا لصلاتها وتهجدها.

وتعيش فاطمة في كنف زوجها، قريرة العين، سعيدة النفس، لا تفارقها البساطة، ولا تبرح بيتها خشونة الحياة. وعاشت – رضي الله عنها – في بيتها الجديد، حياة بسيطة متواضعة، ليس لها خادم يخدمها، وتعمل بيديها كافة شؤون بيتها، فتطحن، وتعجن، وتخدم بيتها وزوجها، وتهتم بتربية أولادها وتنشئتهم. وظلت السيدة فاطمة الزوجة الوحيدة لعلي بن أبي طالب طيلة حياتها، ولم يتزوج عليها زوجة أخرى، وولدت له الحسن، والحسين، وأم كلثوم، وزينب، وفي رواية: ومحسن، ومات صغيرًا، وشهد المسلمون حب رسول الله للحسن والحسين، وعنايته بتربيتهما، والحث على حبهما، والتمسك بهما، فعرفوا مقامهما ومكانتهما من رسول الله – صلّى الله عليه وآله وسلم؛ فقد ورد عنه – صلّى الله عليه وآله وسلم – قوله: "**هَذَانِ ابْنَايَ، مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي**"، كما قال أيضًا – ﷺ – : "**الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**".

مشاركاتها:

وكان لها – رضي الله عنها – مشاركات في أحداث المسلمين العامة، مثل: حضور الحرب، وبيعة النساء، والمباهلة مع وفد نصارى نجران، وكانت تجانب أباها وزوجها الشؤون الخارجية للمسلمين؛ فقد شهدت جهاد أبيها، وصبره، واحتماله، شاهدته وهو يجرح في (أحد)، وتُكسر رباعيته، ويخذله المنافقون، ويُستشهد عمُّها حمزة، أسد الله، ونخبة من المؤمنين معه.

فتأتي فاطمة أباها، وهي تبكي، وتحاول تضميد جرح رسول الله – صلّى الله عليه وآله وسلم – ، ورأت الدم الذي كان ينزف من جسده الشريف الطاهر، فكان زوجها علي – كرم الله وجهه – يصب الماء على جرح رسول الله – صلّى الله

عليه وآله وسلم – ، وهي تغسله، ولما يئست من انقطاع الدم، أخذت قطعة حصير فأحرقتها، حتى صار رمادًا، فذرته على الجرح حتى انقطع دمه.

وليست هذه العاطفة، وتلك العناية والمشاركة مع الأب الرسول – صلّى الله عليه وآله وسلم – من فاطمة – رضي الله عنها – هي كل ما تقدمه لأبيها، بل ويبلغ حبها لأبيها، وإيثارها له، واهتمامها به، ومشاركتها له في شدّته وعسرته، أنها جاءت يوم الخندق إلى رسول الله – صلّى الله عليه وآله وسلم – ، وهو منهمك مع أصحابه في حفر الخندق، لتحصين المدينة، وحماية الإسلام، جاءت وهي تحمل كسرة خبز، فرفعتها إليه، فقال: ما هذه يا فاطمة؟ قالت من قرص اختبَزْته لابني، جئتك منه بهذه الكسرة، فقال: يا بُنيّة، أما إنها لأول طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاث.

فضلها وشرفها:

وهي – رضي الله عنها – البضعة الطاهرة المباركة، والابنة البارة، والزوجة المخلصة المتفانية، والأم الرؤوم الحانية، والمجاهدة الصابرة، والنموذج العالي للمرأة المسلمة، وكانت صوّامة قوامة، تكثر من قراءة القرآن الكريم، وتُديم الذكر، وتهتم بأمر المسلمين وأحوالهم. نشاهد الزهد في عظم شخصيتها، وتسامي نظراتها، وترفّعها عن الخضوع للذات الحياة، وزخارف العيش، ومغريات المتع؛ ففاطمة في بساطة بيتها، وفي خشونة عيشها، وفي تواضع حياتها، تمثّل الزهد بأدق معانيه، وتحفظ وهي في مقامها الرفيع، للمرأة المؤمنة طريق المسلمة الواعية، وتعرفها قيمة الحياة، وكيفية التعامل معها.

وقد ورد في فضلها عدّة أحاديث نبوية شريفة، منها ما رواه أبو هريرة وغيره من الصحابة، أن رسول الله – ﷺ – قال: خير نساء العالمين أربع: مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة، وفاطمة. وعن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: أن رسول الله – ﷺ – أخبر فاطمة – رضي الله عنها – أنها سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة. وعنها أيضًا أنها قالت: ما رأيت أحدًا أفضل من

فاطمة غير أبيها. وفي صحيح مسلم، أن النبي - ﷺ - قال: (إنَّمَا فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّي)، وكانت - رضي الله عنها أشبه الناس به - عليه الصلاة السلام.

وقد بلغ من مكانتها عنده - ﷺ - أنه كان إذا رجع من سفرٍ أو غزوة، بدأ بالمسجد فصلّى فيه، ثم أتى بيت فاطمة، فسلّم عليها، ثم يأتي أزواجه. وللسيدة فاطمة ذكر في كتب الحديث؛ فقد روت عن النبي - ﷺ - ثمانية عشر حديثًا، وروى لها الترمذي، وابن ماجة، وأبو داود، وروى عنها زوجها علي - كرم الله وجهه - ، وابناها الحسن والحسين - رضي الله عنها - ، وعائشة أم المؤمنين - رضوان الله عليها - ، وآخرون.

وفاة والدها - ﷺ - :

شهدت مع والدها رسول الله - ﷺ - فتح خيبر، وفتح مكة، وأقامت فيها بضعة شهور، ثم عادت إلى المدينة، كما شهدت معه - عليه الصلاة السلام - حجة الوداع، ويبسط نور الرسالة إشعاعه في ربوع الجزيرة، ويكمل رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم - دينه، ويبلّغ رسالته، ويضع أمته على المحجة الواضحة، ويثبت البناء الشامخ، رسالة، وأمة، وحضارة، ودولة.

أكمل رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم - مهمته على هذه الأرض، وآن له أن يلتحق بربه، ويحيا حياة الخلد والنعيم؛ فيدنو منه نداء الأجل، ويمرض رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم - ، ويشتد عليه مرضه، وفاطمة تنظر إليه، فتشعر أنها هي حاملة الألم والمرض، وينظر - صلّى الله عليه وآله وسلم - إليها، فيراها ودمعة الحزن والفراق عاجزة عن صهر أحزانها، فلم يمنعه مرضه من العطف عليها، وتخفيف الحزن والألم عن نفسها، خصوصًا وهو يعلم ما ستعانيه فاطمة بفقده، وأفول ظلّه الكريم من حياتها. جاءت فاطمة لتعود أباها.. جاءته بخطى وئيدة حزينة، حتى اقتربت منه، فرحب بها، وهشّ لها، ثم أجلسها إلى جنبه.

قالت عائشة: كنت جالسة عند رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم - ، فجاءت فاطمة تمشي، كأن مشيتها مشية رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم - ،

فقال: مرحبًا بابُنتي! فأجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم أسرّ إليها شيئًا فبكت، ثم أسرّ إليها فضحكت، قالت: قلت: ما رأيت ضحكًا أقرب من بكاء، استخصّك رسول الله – صلّى الله عليه وآله وسلم – بحديثه ثم تبكين؟! قلت: أي شيء أسرّ إليك رسول الله؟ قالت: ما كنت لأفشي سره، فلما قُبض – صلّى الله عليه وآله وسلم – ، سألتها، فقالت: قال: إن جبريل – عليه السلام – كان يأتيني كل عام فيعارضني بالقرآن مرة، وإنه أتاني العام الماضي فعارضني مرتين، ولا أظن إلا أجلي قد حضر، ونعم السلف أنا لك. قالت: وقال: أنت أول أهل بيتي لحاقًا بي. قالت: فبكيت لذلك، ثم قال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة، أو نساء العالمين؟ قالت: فضحكت. ونقل ابن سعد في الصفحة ذاتها نصًّا آخر للحديث: ومما جاء فيه: أنه يقبض في وجعه، فبكيتُ، ثم أخبرني أني أول أهله لحاقًا به، فضحكتُ.

وتمر أيام المرض ثقيلة وئيدة، فيعيشها المسلمون بترقب وحذر، وتعيشها فاطمة بحزن وألم، ولما اشتد المرض عليه، جعلت تقول: واكرب أباه، فقال لها النبي: **(لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ)**. ويأذن الله لنبيه أن يلحق به، ويمضي إلى عالمه العلوي، فيختاره تعالى إلى جواره، وينتقل إلى الرفيق الأعلى، فترزأ البشرية بنبيّها، وتفقد الأرض كوكب الهداية والرحمة، وتغلق بموته أبواب الخطاب الإلهي إلى الأبد عن هذه الأرض. وتشتد الرزيّة على فاطمة، ويعظم المصاب في نفسها، وتظل تعيش بعد أبيها في حزن وألم، وهي ترقب ساعة اللحاق به، والعيش معه في جنات الخلد.

و اشتد عليها الحزن، وعظمت المصيبة، وأخذت تقول: يا أبتاه، أجاب ربًا دعاه.. يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه.. يا أبتاه إلى جبريل ننعاه.

وقفت يومًا على قبر النبي – عليه الصلاة السلام – ، وأخذت قبضة من تراب القبر، فوضعتها على عينيها، وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شمّ تربة أحمد أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا

صُبّت علي مصائب لو أنها صُبّت على الأيام صِرْنَ لياليا

وفاتها رضي الله عنها:

لم تُعمّر السيدة فاطمة بعد وفاة والدها - عليه الصلاة السلام - طويلاً، وكما أخبرها أنها أول أهل بيته لحاقًا به؛ حيث روي عن الفترة التي عاشتها بعده عدّة روايات، وأصحها أنها عاشت بعد وفاة النبي - - ستة أشهر، وقد ﷺ توفيت رحمها الله في شهر رمضان من السنة الحادية عشرة للهجرة، وهي ابنة تسع وعشرين سنة، أو نحوها، ودُفنت في البقيع - على أغلب الروايات - رحمها الله، ورضي عنها.

وهكذا طوت الزهراء فاطمة صفحة الحياة، لتبدأ مرحلة الخلود في عالم الفردوس، ولتحيى أبدًا في ضمير التاريخ، ودنيا الإسلام.

من زوجاته صلى الله عليه وسلم

أم سلمة

جويرية بنت الحارث



هن من شريكات النجاح ومن أمهات المؤمنين ومن صاحبات المجد والشجاعة والكرم.

أم سلمة

ذات رأي صائب:

قلّما تجد أحدًا من الرجال يأخذ برأي زوجته، وخصوصًا في الأمور الجلل، وكذا لو كان الأمر يتعلق بعمله، فما بالنا إذا كان الأمر يتعلق بحسن الإسلام، وطاعة النبي؟! فعندما أشارت على النبي، وأخذ برأيها وعمل به، كانت بمثابة طوق نجاة لكل المسلمين حين ذاك.

هي هند بنت أبي أمية، بن المغيرة، بن عبد الله، بن عمر، بن مخزوم، القرشية المخزومية، أم المؤمنين، زوج النبي - ﷺ - ، وكُنيتها أم سلمة؛ وكان أبوها يُعرف بزاد الراكب؛ لجوده وكرمه.

تزوجها أبو سلمة، عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، ابن عمة رسول الله - ﷺ - ، وأخوه - ﷺ - من الرضاعة. أسلما معًا، وهاجرا إلى الحبشة، وولدت له ابنه سلمة هناك، ثم عادا إلى مكة.

أول الاختبارات:

تعرضت أم سلمة لمحنة شديدة، حينما عزمت على الهجرة إلى المدينة مع زوجها وابنها سلمة، فقد منعها أهلها من الهجرة مع زوجها، وغضب عند ذلك أهل زوجها، فتجاذبوا ابنها سلمة، وأخذوه منها، فحِيْلَ بينها وبين ابنها وزوجها، وبقيت في مكة قرابة السنة على هذه الحال، حتى رق لها أهلها وتركوها تلحق بزوجها مع ابنها إلى المدينة.

وهناك أنجبت درة، وعمر، وزينب، وأُصيب زوجها في غزوة أحد، وبرأ جرحه، ثم انتكأ مرة أخرى؛ فتوفي - رضي الله عنه - في الثامن من جمادى الآخرة، سنة أربع للهجرة، وبعد انقضاء عدتها خطبها أبو بكر وعمر فردتهما، ثم خطبها رسول الله - ﷺ - فقالت: إني امرأة غَيْرى، وإني امرأة مصبية (أي ذات صبيان)، وليس أحد من أوليائي شاهد. فقال - ﷺ - : أما قولك: إني امرأة غَيْرى، فسأدعو الله فيذهب غيرتك، وأما قولك: إني امرأة مصبية، فَستُكْفَيْنَ صبيانك، وأما

قولك: ليس أحد من أوليائي شاهد، فليس أحد من أوليائك شاهد ولا غائب يكره ذلك. فقالت لابنها عمر: قم فزوج رسول الله - ﷺ - ، فزوّجه، وذلك في شوال سنة أربع، ودخل بها - ﷺ - في حجرة السيدة زينب بنت خزيمة بعد موتها، وكان صداقها فراش حشوه ليف، وقدر، وصحفة، ومجشة.

مواقف صائبة:

* كانت أم سلمة امرأة جليلة، ذات رأي، وعقل، وكمال، وجمال. صحبها النبي - ﷺ - هي وصفية بنت حيي في بعض أسفاره، فجاء رسول الله - ﷺ - إلى هودج صفيّة، وهو يظن أنه هودج أم سلمة، وكان ذلك اليوم يوم أم سلمة، فجعل يحدّث صفية، فغارت أم سلمة، ثم علم أنها صفية، فجاء إلى أم سلمة وقد أخذتها غيرة شديدة، فقالت له: تتحدث مع ابنة اليهودي في يومي، وأنت رسول الله، ثم ندمت على قولها، وقالت: يا رسول، استغفر لي؛ فإنما حملني على هذا الغيرة.

* كان لها يوم الحديبية رأي صائب، يدل على رجاحة عقلها، فعندما عُقد الصلح مع مشركي مكة، كان كثير من المسلمين غير راضين عن بعض شروطه، فلما أمرهم رسول الله - ﷺ - بالتحلل تأخروا في الاستجابة، فشق ذلك على رسول الله - ﷺ - ودخل على أم سلمة، وذكر لها الأمر، فقالت: يا نبي الله، اخرج، ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فقام - ﷺ - ونحر وحلق، فقام أصحابه ينحرون ويحلقون.

* أرسلت إلى السيدة عائشة ناصحة لها، لما عزمت على الخروج إلى وقعة الجمل، تطلب منها لزوم بيتها، ومما قالته لها: لو قِيل لي: يا أم سلمة ادخلي الجنة، لاستحييت أن ألقى رسول الله - ﷺ - هاتكة حجابًا ضربه علي، فاجعليه سترك، وقاعة بيتك حصنك.

* دخل النبي - ﷺ - على عائشة ذات يوم، فقالت: أين كنت منذ اليوم؟ قال: كنت عند أم سلمة، فقالت: أما تشبع من أم سلمة؟ فتبسّم رسول الله - ﷺ -.

* نزل في بيتها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾، فأرسل رسول الله - ﷺ - إلى علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، فقال: هؤلاء أهل بيتي، فقالت: يا رسول الله، أنا من أهل البيت؟ قال: بلى، إن شاء الله.

* روت عن النبي - ﷺ - ٣٧٨ حديثًا.

وفاتها:

عاشت السيدة أم سلمة حتى شهدت مقتل الحسين بن علي وآل بيته؛ فحزنت عليه حزنًا شديدًا، وتُوفيت بعده بقليل، في خلافة يزيد بن معاوية، سنة ٦٢هـ، ودُفنت بالبقيع.

جويرية بنت الحارث

إن بعض النساء كلهن خير وبركة، ليس لأنفسهن فقط، ولكن أيضًا لأهلهن جمعيًا، وببركة إحداهن قد يُعتق جميع قومها من الأسر، فهل رأيت مثل ذلك؟!

نعم.. إنها إحدى زوجات النبي - ﷺ - وإحدى أمهات المؤمنين.. إنها السيدة جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، بن حبيب، بن عائذ، بن مالك، المصطلقية الخزاعية، زوج رسول الله - ﷺ - ، وأم المؤمنين. كان اسمها برة، فغيره رسول الله - ﷺ.

يوم الحرب يوم سعدها:

سُبيت يوم المرَيْسِيْع (غزوة بني المصطلق)، سنة خمس للهجرة، وكانت متزوجة بابن عمها مسافع بن صفوان، بن أبي الشفر، الذي قُتل في هذه الغزوة، وعندما قُسمت الغنائم، وقعت في سهم ثابت بن قيس، بن شماس، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة جميلة، فأتت النبي - ﷺ - تستعينه على كتابتها، فرأتها السيدة عائشة، فكرهتها؛ لملاحتها وحلاوتها، وعرفت أن رسول الله - ﷺ - سيرى منها ما رأت، فقالت: يا رسول الله! أنا جويرية بنت الحارث، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء مالم يخف عليك، وقد كاتبت، فأعني، فقال: أو خير من ذلك؟ أؤدي عنك وأتزوجك؟ فقالت: نعم، فقال: قد فعلت، فبلغ الناس، فقالوا: أصهار رسول الله، فأرسلوا ما كان في أيديهم من الأسرى؛ فما من امرأة أعظم بركة على قومها منها. أُعتق بزواجها من رسول الله - ﷺ - أهل مائة بيت من بني المصطلق، وكان عمرها يوم زواجها من رسول الله ﷺ عشرين سنة.

روايتها للحديث:- روت عن النبي - ﷺ - سبعة أحاديث.

وفاتها - رضي الله عنها - :

عاشت - رضي الله عنها - إلى خلافة معاوية، وتوفيت سنة ست وخمسين (٥٦) على الأرجح، وصلّى عليها مروان بن الحكم، أمير المدينة، ودُفنت بالبقيع.

ومن الصحابيات:

أسماء بنت يزيد

وأسماء بنت عميس

وأسماء بنت أبى بكر

وأم ورقة الأنصارية

الأسرة

حاملات راية هذا الدين والمجاهدات في سبيل نصرته، صحابيات ضربن المثل فى الثبات.

أسماء بنت يزيد

هي مبعوثة النساء إلى النبي - ﷺ - ، ومجاهدة ومقاتلة في الحروب.

إن بعض النساء، بل وبعض الرجال أيضًا، لا يجيدون فن طرح الأسئلة، وطلب ما يريدون، وإقناع من أمامهم بطلبهم، وخصوصًا إذا كان عظيمًا ذو شأن، فكيف إذا كان هذا العظيم نبي؟ وكيف إذا كان هذا النبي هو رسول الله محمد - ﷺ؟ كيف كنت ستطرح عليه مطالبك؟

لنرى ماذا فعلت تلك المرأة، ولكن لنعرف أولاً من هي؟

أسماء بنت يزيد، بن السكن، بن رافع، بن امرئ القيس، بن زيد، بن عبد الأشهل، أم عامر، الأنصارية، ابنة عمة معاذ بن جبل.

رسول النساء إلى النبي - ﷺ - :

رُوي عنها أنها أتت النبي - ﷺ - فقالت: إني رسول مَنْ ورائي من جماعة نساء المسلمين، يقُلن قولي، وعلى مثل رأيي، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك، واتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات، مخدرات، قواعد بيوت، وموضع شهوات، وحاملات أولادكم، وإن الرجال فضّلوا علينا بالجماعات، وشهود الجنائز، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربّينا لهم أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت رسول الله - ﷺ - بوجهه إلى أصحابه، وقال لهم: **هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَة أَحْسَنَ سُؤَالاً عَنْ دِينِهَا مِنْ هَذِه؟** فقالوا: لا يا رسول الله، فقال: **(انْصَرِفِي يَا أَسْمَاءُ، وَأَعْلِمِي مَنْ وَرَاءَك مِنَ النِّسَاء، أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّل إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا، وَطَلَبِهَا لِمَرْضَاتِه، وَاتِّبَاعِهَا لِمُوَافَقَتِه، تَعْدِلُ كُلَّ مَا ذَكَرْت لِلرِّجَال)**، فانصرفت أسماء، وهي تهلل وتكبر، استبشارًا بما قال - ﷺ.

جهادها:

شهدت خيبر مع رسول الله - ﷺ - ، وقَتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاطها.

روايتها للحديث:

روى عنها شهر بن حوشب، ومجاهد، وإسحاق بن راشد، ومحمود بن عمرو، وغيرهم.

وفاتها:

توفيت أسماء في حدود سنة سبعين هجرية، وقبرها في دمشق، بالباب الصغير.

أسماء بنت عميس

منْ مثلها وقد تزوجت خير شاب في العرب؟ فهي زوجة الشهيد الطيار، وزوجة خليل النبي - ﷺ - ورفيقه، ثم من بعدهم، زوجة ابن عم النبي، ورابع الخلفاء الراشدين، وصاحبة الهجرتين.

هي أسماء بنت عميس، بن معد، بن الحارث، الخثعمية، تُكنى أم عبد الله، صحابية، من المهاجرات الأُول. أمها هند بنت عوف بن زهير، أكرم امرأة في الأرض أصهارًا، وأختها لأبيها وأمها سلمى بنت عميس، زوج حمزة بن عبد المطلب، وأخواتها لأمها: ميمونة بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة، أُمّا المؤمنين، زوجا النبي - ﷺ - ولبابة الصغرى، أم خالد بن الوليد، وأم الفضل، زوج العباس بن عبد المطلب.

أسلمت قبل دخول رسول الله - ﷺ - دار الأرقم، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فولدت له هناك كلاً من: عبد الله، ومحمدًا، وعونًا، ثم عادت إلى المدينة سنة سبع مع زوجها وأبنائها.

صاحبة الهجرتين:

قال لها عمر: يا حبشية، سبقناكم بالهجرة، فذكرت ذلك لرسول الله - ﷺ - فقال للناس: هجرة واحدة، ولكم هجرتان.

اصنعوا لآل جعفر طعامًا!

تقول: لما استُشهد جعفر في غزوة مؤتة، دخل عليّ - رسول الله ﷺ - فقال: يا أسماء، أين بنو جعفر؟ فجئت بهم إليه، فضمهم، وشمّهم، ثم ذرفت عيناه فبكى، فقلت: أي رسول الله، لعله بلغك عن جعفر شيء؟ قال: نعم، قُتل اليوم. قالت: فقمت أصيح، فاجتمع إلي النساء، فجعل رسول الله - ﷺ - يقول: يا أسماء، لا تقولي هجرًا، ولا تضربي صدرًا، قالت: فخرج رسول الله - ﷺ - حتى دخل على ابنته فاطمة، وهي تقول: واعمّاه، فقال رسول الله - ﷺ - : على مثل جعفر فلتبكِ الباكية، ثم قال: اصنعوا لآل جعفر طعامًا؛ فقد شُغلوا عن أنفسهم اليوم.

مَنْ لأرملة الشهيد؟

ثم تزوجها أبو بكر الصديق، فولدت له محمد بن أبي بكر، وقد أوصى أبو بكر لما حضره الموت أن تغسله زوجته أسماء. ثم تزوجها علي بن أبي طالب، فولدت له يحيى وعونًا.

أبناء الصحابة:

ونرى هنا كيف جمعت هذه السيدة الميمونة أبناء جعفر، وأبي بكر، وعلي بن أبي طالب في بيت واحد.

ويُروى أن ابناها محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، تفاخرا ذات يوم، فقال كل واحد منهما: أنا أكرم منك، وأبي خير من أبيك، فقال لها علي: اقضي بينهما يا أسماء، فقالت: ما رأيت شابًا من العرب خيرًا من جعفر، ولا رأيت كهلاً خيرًا من أبي بكر، فقال علي: ما تركتِ لنا شيئًا، ولو قلت غير ذلك لمقتُّك.

خبرة وتعليم:

كانت أسماء أول من أشار بنعش المرأة، وأول ما صنعته للسيدة فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - وهي على فراش الموت، وهو على شكل هودج، رأت النصارى يصنعونه بالحبشة.

وفاتها:

توفيت نحو سنة أربعين هجرية.

أسماء بنت أبى بكر

هي آخر من مات من المهاجرين والمهاجرات، وأخت عائشة الصديقة لأبيها، كان لها دور من أدوار البطولة في هجرة النبي - ﷺ.

هي أسماء بنت عبد الله، أبي بكر الصديق، ذات النطاقين، التيمية، زوج الزبير بن العوام، وأم عبد الله بن الزبير، أمها قتيلة بنت عبد العُزى، وُلدتْ قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، أسلمت أسماء قديمًا بعد سبعة عشر نفسًا.

مواقف في الهجرة:

* كانت تذهب للنبي - ﷺ - ولأبيها في غار ثور كل يوم بطاعمهم، وهي حامل تكاد أن تضع وليدها، ولقد تكبدت التعب والمشقة من أجل نُصرة هذا الدين، وسُميت أسماء بذات النطاقين؛ لأن رسول الله - ﷺ - لما تجهز مهاجرًا ومعه أبو بكر الصديق أتاهما عبد الله بن أبي بكر بسفرتهما، ولم يكن لها أشناق، فشقت لها أسماء نطاقها، فشنقتها به، فقال لها رسول الله - ﷺ - : قد أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة، فقيل: ذات النطاقين.

* قالت أسماء: لما خرج رسول الله - ﷺ - أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشًا خبيثًا، فلطم خدي لطمة خر منها قرطي، ثم انصرفوا.

* قالت أسماء: لما خرج أبو بكر مع رسول الله - ﷺ - إلى المدينة حمل أبو بكر ماله كله معه، فأتانا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: إن هذا والله فَجَعَكُم بماله مع نفسه، فقلت: كلا يا أبه، قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، وعمدت إلى حجارة، فجعلتها في كوة في البيت، وغطيتها بثوب، ثم وضعت يده على الثوب، فقال: أما إذ ترك لكم هذا فنعم، ولا والله ما ترك لنا قليلاً ولا كثيرًا.

هجرتها - رضي الله عنها - :

هاجرت إلى المدينة وهي حامل، فولدت عبد الله بقباء.

زواج وصبر:

عن أسماء قالت: تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال، ولا مملوك، ولا شيء غير فرسه، فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤونته، وأسوسه، وأدق النوى لناضحه، وأعلفه، وأستقي الماء، وأعجن، ولي جارات من الأنصار يخبزن لي، وأنقل النوى من أرض الزبير على رأسي، على ثُلُثَي فرسخ، حتى أرسل لي أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني. وشهدت أسماء اليرموك مع زوجها الزبير.

مقتل ابنها:

ولما قتل الحجاج ابنها عبد الله بن الزبير، دخل عليها، وقال: إن أمير المؤمنين أوصاني بكِ، فهل لك من حاجة؟ فقالت: لست لك بأم، ولكني أم المصلوب على رأس الثنية، ومالي من حاجة.

ثم دخلت مكة بعد ثلاثة أيام من قتل ابنها، وهو مصلوب، فجاءت وقد كف بصرها، فقالت للحجاج: أما آن لهذا الراكب أن ينزل، فقال الحجاج: المنافق؟ فقالت: والله ما كان منافقًا، وإن كان لصَوَّامًا، قَوَّامًا برًّا. فقال: انصرفي يا عجوز، فإنك قد خرفت، قالت: لا والله ما خرفت منذ سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: يخرج من ثقيف كذّاب ومبير، فأما الكذّاب فقد رأيناه، وأما المبير فأنت. ثم أتي بجثة عبد الله إليها، فجعلت تحنطه بيدها، وتكفنه، وصلت عليه، فما أتت عليها جمعة أو ثلاثة أيام حتى ماتت - رضي الله عنها.

روايتها للحديث:

لها في الصحيحين اثنان وعشرون حديثًا، وفي سندها ثمانية وخمسون حديثًا.

وفاتها:

عاشت مائة سنة، وماتت بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير بليال، سنة ثلاث وسبعين، وهي آخر من مات من المهاجرين والمهاجرات.

أم ورقة الأنصارية

هي الشهيدة، ولكن ليست كأي واحدة منهن؛ فهي التي بشرها الرسول - ﷺ - بالشهادة في عقر دارها.

- من نساء الأنصار، وأسلمت مع السابقات.
- بايعت النبي - ﷺ - ، وروت عنه.
- نشأت على حب كتاب الله تعالى، حتى جمعت القرآن العظيم في صدرها، وكانت قارئة مجيدة للقرآن.
- اشتُهرت بكثرة صلاتها، وحسن عبادتها.
- كان رسول الله - ﷺ - يأمرها بأداء الصلاة في بيتها.

قرِّي في بيتك!

وقد بلغ حبها للجهاد مبلغًا عظيمًا، حتى قالت عن نفسها: إن النبي - ﷺ - لما غزا بدرًا، قلت له: يا رسول الله، ائذن لي في الغزو معك، أُمرِّض مرضاكم؛ لعل الله أن يرزقني الشهادة، قال: **(قَرِّي فِي بَيْتِك؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَرْزُقُكِ الشَّهَادَةَ)**.

الشهيدة:

أصبحت تعرف بالشهيدة، وكان رسول الله - ﷺ - إذا أراد زيارتها اصطحب معه ثُلّة من أصحابه، وقال لهم:**(انْطَلِقُوا بِنَا نَزُورُ الشَّهِيدَةَ)**. وفي عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يزورها اقتداءً برسول الله - ﷺ.

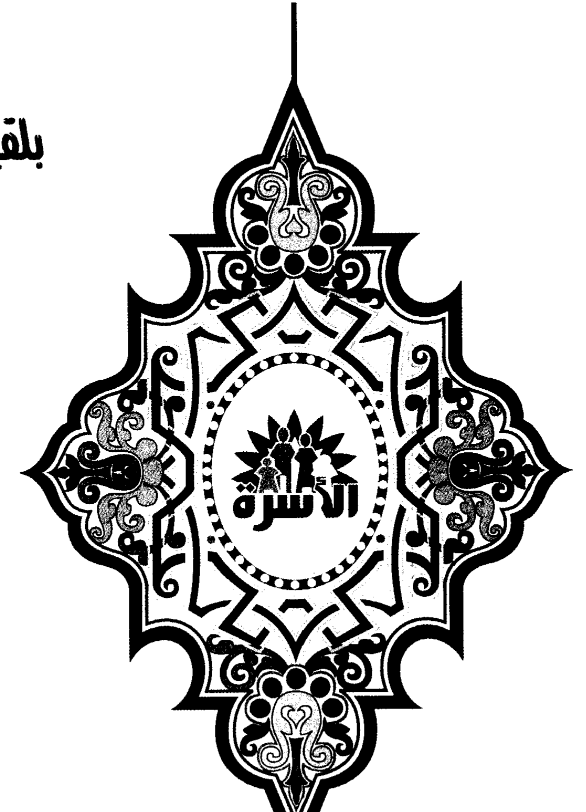
قصة شهادتها:

كانت أم ورقة تملك غلامًا وجارية، وكانت قد وعدتهما بالعتق بعد موتها، فسولت لهما نفساهما أن يَقْتلا أم ورقة، وذات ليلة، قاما إليها فغمياها وقتلاها، وهربا، فلما أصبح عمر قال: والله ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة، فدخل الدار، فلم ير شيئًا، فدخل البيت، فإذا هي ملفوفة في قطيفة في جانب البيت، فقال: صدق الله ورسوله، ثم صعد المنبر فذكر الخبر، وقال: عليّ بهما، فأُتي بهما، فصلبهما؛ فكانا أول مصلوبين في المدينة.

ملكات حكمن

شجرة الدر

بلقيس ملكة سبأ



عرفنا عن حكامنا الرجال كثير من مواقف الإيمان والعزة وللنساء أيضا مواقف فى الحكم لا تقل عن مواقف الرجال.

شجرة الدُر

نسبها:

شجرة الدر، جارية من جواري الملك الصالح، اشتراها الملك نجم الدين. اختلف المؤرخون في تحديد جنسيتها؛ فمنهم من قال: إنها تركية، ومنهم من قال: إنها جركسية، أو رومانية. ولكن لم تكن شجرة الدر كباقي الجاريات، بل تميزت بالذكاء الحاد، والفطنة، والجمال، كما أنها نالت الإعجاب بفتنتها وفنها، إذ كانت متعلمة، تجيد القراءة، والخط، والغناء.١

زواجها:

أعجب بها الملك نجم الدين واشتراها، ولقبها بشجرة الدر، وأنفرد بها، وحظيت عنده بمنزلة رفيعة؛ بحيث أصبح لها الحق في أن تكون المالكة الوحيدة لقلبه وعقله، وصاحبة الرأي، ثم أصبحت الشريكة الشرعية، وأم ولده. أرسل الأمير نجم الدين بأمر من والده، إلى حصن كيفا، لولاية وحكم هذا الحصن (وهو حصن من حصون المشارق، يقع على حدود تركستان)، ثم وردت إليه أنباء من القاهرة، تقول: إن أباه الملك الكامل قد عين أخاه الصغير أبا بكر (الملك العادل) وليًا للعهد بدلاً منه، وكانت أمه أقرب إلى قلب الملك، من أم الأمير نجم الدين. غضب الأمير نجم الدين من تصرف الملك ؛ لأن أخاه كان طائشًا، ولأن الدولة كانت في خطر من كل الجوانب، ويتربص بها الأعداء من الصليبين والمغول. أقسم الأمير نجم الدين أن الخلافة لن تكون لغيره بعد أبيه. وبدأ بالمقاومة؛ لأنه أرشد من أخيه، وأحق منه في الخلافة.

نعم الزوجة!

وفي هذه الأثناء، كانت شجرة الدر نعم الزوجة؛ حيث قامت بتشجيع وتأييد زوجها، فساعدته في الوصول إلى حقه المغتصب. وفي هذه الفترة، أنجبت له ولدًا أسماه خليل. توجه الأمير نجم الدين إلى القاهرة، ومعه زوجته شجرة الدر، وابنهما، وبطانته المؤلفة من عشرات الجنود فقط، وبعض المماليك، وعلى رأسهم (بيبرس،

وأيبك، وقلاوون، وآق طاي)، وبينما هم في طريقهم، انقض عليهم جيش الملك الناصر داوود، وهو ابن عم نجم الدين والي إمارة الكرك والشوبك، وما يليهما من أرض الأردن، وأسرهم في قلعة الكرك عام (٦٣) هـ، ثم أرسل إلى الملك العادل يخبره بما حدث، ويطلب منه ثمن جلوسه على عرش الشام. استمر سجنهم سبعة أشهر، كان الملك الناصر خلالها يساوم الملك العادل في القاهرة على الأمير نجم الدين، أما زوجته شجرة الدر، فقد وفرت له كل أسباب الراحة، وبثت التفاؤل في نفسه، خلال مدة الأسر.

محاربة الصليبيين.. وولاية الملك:

قامت شجرة الدر بوضع خطة مع زوجها، وذلك باتفاق زوجها مع خصمه الملك الناصر، على أن يطلق سراح نجم الدين ليستولي على عرش مصر، ومن ثم يقدم له عرش الشام، ونصف الخراج. ثم سار الملك الصالح زوجها إلى القاهرة، وهزم أخاه العادل نجم الدين، وأسره في قلعة صلاح الدين. وهكذا بلغت شجرة الدر مرادها، حيث قاسمت زوجها المجد والسلطة.

كانت شجرة الدر قادرة على تسيير الجيوش للحرب، وذلك عندما تعرضت مصر لحملة الصليبيين، ويقال: إن الملك لويس التاسع شن الحملة، ليوفي بنذره؛ حيث نذر بأنه إذا شُفي من مرضه، فسوف يشن حملة على مصر؛ فجهز جيشًا وأبحر من مرسيليا عام ١٢٤٩. وفي هذه الأثناء، كان الملك الصالح مريضًا، لكنه استعد للأمر، واتخذ من المنصورة مركزًا للقيادة العامة، وولاها للأمير فخر الدين، نزولاً عند رغبة شجرة الدر، التي أثبتت على أنها قادرة على مواجهة الصعاب، وأقسمت لزوجها على أن الصليبيين سيُقتلون في حملتهم، بعد وصول الغزاة إلى مصر عام ١٢٤٩.

ذكاء ودهاء:

ظهرت حكمة وذكاء شجرة الدر؛ حيث أخفت نبأ وفاة الملك، لعدة أسباب، أهمها: الخوف من حدوث البلبلة في الدولة، وبخاصة بين صفوف الجيش، وحتى

تتغلب على العدو، وكذلك حتى لا ينصرف اهتمام أمراء بني أيوب والمماليك إلى تولي العرش، وساعدها على ذلك الأمير فخر الدين. واستمر الحال في القصر الملكي كالسابق، ولكن عندما لاحظت شجرة الدر، أن خبر وفاة زوجها أوشك أن ينكشف، وأن العدو أيضًا على وشك الانهزام، قامت باستدعاء ابن زوجها تورانشاه، وأمرت رجال الدولة والجيش أن يحلفوا له يمين الولاء، وأن يُدعى لها على المنابر في المساجد؛ وذلك لتبقى السلطة في يدها، وتصرّف أمور الدولة كما تشاء، وذلك إن دل فيدل على ذكائها ودهائها.

وقبل وصول تورانشاه، قامت شجرة الدر بوضع خطة حربية مع قادة وأمراء المماليك، وظلت تشرف على تنفيذها، ومراقبة سير المعركة في المنصورة عن قرب، وبلغ من حماسها أنها كانت تعاون الأهالي مع الجنود، في صد هجمات الأعداء والرد عليهم، حتى انتصر المسلمون عام ١٢٥٠، ولم يدم حكم تورانشاه أكثر من شهرين؛ وذلك لفساده وطغيانه، حيث قام بأبعاد رجال الدولة الأكفاء، وأخذ يهدد زوجة أبيه شجرة الدر، ويطلب ما تبقى من ثروة أبيه، ولم يكتف بذلك، بل قام باستفزاز مماليك البحرية، حتى لقي مصرعه على يد بيبرس، ووافق الكل في مصر على تولي شجرة الدر العرش، بعد مصرع تورانشاه.

راية الإسلام:

كان عهد شجرة الدر زاهيًا وزاهرًا، أظهرت خلاله قدرتها وجدارتها في الحكم، وتنعّم الفقراء بحسناتها، إذ كانت ملكة عاقلة لبيبة، على علم تام بنفسية الشعب ومتطلباتهم. لم تكن حكومتها استبدادية، لا تشرع في عمل من الأعمال حتى تعقد مجلس المشاورة، ولا تصدر قرارًا إلا بعد أخذ رأي وزرائها ومستشاريها، وقامت بنشر راية السلام أيضًا، فأمِنَ الناس خلال فترة حكمها.

نبغ في عصرها العديد من الأدباء والشعراء المصريين، مثل: بهاء الدين زهير، وجمال الدين بن مطروح، وفخر الدين بن الشيخ. وقامت في عهدها أيضًا بعمل

جيد، وهو تسيير المحمل كل عام من مصر إلى الحجاز في موسم الحج، محملاً بكسوة الكعبة، والمؤن والأموال لأهل البيت.

وقد عُرفت شجرة الدر بعدة ألقاب خلال حكمها، مثل: الملكة عصمة الدين، والملكة أم خليل، وأخيرًا الملكة شجرة الدر أم خليل المستعصمية، نسبة إلى الخليفة المستعصم، وذلك خوفًا من أن لا يعترف بها الخليفة العباسي، الذي كان يجلس على عرش العباسيين في بغداد آنذاك. ودُعي لها على المنابر، كما أصبحت الأحكام تصدر باسمها، ونقش اسمها على الدراهم والدنانير.

الزواج الثاني:

ولم يَرُقْ للعباسيين أن تتولى امرأة عرش مصر؛ مما أدى إلى نشوب الكثير من الخلافات بين الأمراء والزعماء في مصر والشام، ولذلك اتخذت من الأمير عز الدين أيبك مقدمًا للعساكر، ثم تزوجته، وبفعلتها هذه، أمّنت كلام الناس واعتراض العباسيين عليها، وقبل أن يعقد عليها، اشترطت على أن يُطلّق زوجته، ويتخلى عن ولده المنصور علي، حتى لا ينتقل العرش إلى أبنه، وأُطْلِق عليه اسم الملك المعز.

نهاية مهينة!

ومرت الأيام، وأصبح زمام الأمور داخل مصر وخارجها، في يد زوجها الملك المعز، وبلغها أن زوجها يريد خطبة ابنة الملك بدر الدين لؤلؤ، صاحب الموصل؛ فساءت العلاقات بين شجرة الدر وبين الرجل الذي وثقت به، وجعلته ملكًا، وكادت تفقد عقلها من شدة الحقد والغيرة، وعلمت أيضًا أنه ينوي إنزالها من قصر القلعة إلى دار الوزارة في القاهرة، وذلك ليتفادى الجدل والخصام معها، وحتى يتم تهيئة القلعة، لاستقبال العروس الضرة. غضبت شجرة الدر غضبًا شديدًا، لما فيه من جرح لمشاعرها وكبريائها، وخاصة بعد تأكدها من عزيمته في التخلص منها، فكان لابد من التخلص منه؛ فدعته ذات يوم، واستقبلته بصدرٍ رحب وبشاشة، وكأن شيئًا لم يحدث بينهما، حتى شعر بالطمأنينة ودخل الحمام، وأنقض عليه خمسة من

غلمانها الأقوياء، وضربوه إلى أن مات، ثم أُذيع بأن الملك المعز توفي فجأة، ولكن لم يصدق الناس هذا النبأ.

السجن للملكة!

حاولت شجرة الدر أن يجلس أحد الأمراء المماليك على العرش لكي تحتمي بهِ، إلا أن محاولاتها بائت بالفشل، والتجأت إلى البرج الأحمر في القلعة عام ١٢٥٧، ولكنها لم تنجُ بفعلتها؛ حيث تم القبض عليها من قِبل الأمراء المناصرين لزوجها القتيل، وفرض عليها السجن المنفرد، ولاقت فيه ألواناً مختلفة من العذاب والهوان، ومن ثم تدخلت ضرتها أم على، وهي زوجة الملك المعز الأولى، وحرضت ابنها علي على قتلها انتقامًا لأبيه. وهناك مراجع أخرى تقول: إنه تم قتلها على يد الجواري اللاتي واصلن ضربها بالقباقيب، إلى أن فارقت الحياة.

وفاتها:

وهكذا عاشت شجرة الدر مكرمة جليلة، ذات نفوذٍ وقوة، ولكنها ماتت ميتةٍ ذليلة ومهينه. إن سيرة شجرة الدر، مازالت تروى، وهناك العديد من النساء من تتمنى أن تقوم بشخصية شجرة الدر، وذلك لقوة نفوذها، وذكائها، ودهائها، وقدرتها العجيبة في الحكم، وقد خلد التاريخ ذكراها، وذكر الخدمات التي قدمتها للمسلمين ومصر، إلا أن غيرتها على كبريائها وكرامتها، كانت السبب الذي دفعها لارتكاب تلك الجريمة، التي أسقطتها من قمة الشهرة، وقضت عليها.

بلقيس ملكة سبأ

مهمّا أتقنّا روعة التعبير، وجودة التأليف، ومهما كُتب عن الملكة بلقيس وأُلف عن سيرتها، فإن قصتها ستكون كما وصفها القرآن. ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

إن بلقيس لم تكن امرأة عادية، أو ملكة حكمت في زمن من الأزمان، ومر ذكرها مرور الكرام، شأن كثير من الملوك والأمراء، ودليل ذلك ورود ذكرها في القرآن، فقد خلد القرآن الكريم بلقيس، وتعرض لها دون أن يمسّها بسوء، ويكفيها شرفًا أنْ ورد ذكرها في كتابٍ منزلٍ من لدن حكيم عليم، وهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولم ولن يعتريه أي تحريف أو تبديل على مر الزمان، لأن رب العزة–جل وعلا – تكفّل بحفظه وصونه، يقول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾. فذِكر بلقيس في آخر الكتب السماوية وأعظمها وأخلدها، هو تقدير للمرأة في كل زمان ومكان. هذه المرأة التي استضعفتها الشعوب والأجناس البشرية، وحرمتها من حقوقها، وأنصفها الإسلام وكرمها أعظم تكريم. و هذا في مجمله وتفصيله يصب في منبع واحد، ألا وهو أن الملكة بلقيس كان لها شأنٌ عظيم، جعل قصتها مع النبي سليمان– عليه السلام – تُذكر في القرآن الكريم.

ولكن من هي بلقيس؟!

تنسب الملكة بلقيس إلى الهدهاد بن شرحبيل، من بني يعفر، وهناك اختلاف كبير بين المراجع التاريخية في تحديد اسم ونسب هذه الملكة الحِمْيَرية اليمانية، كما أنه لا يوجد تأريخ لسنة ولادتها ووفاتها.

حُكمها:

كانت بلقيس سليلة حسبٍ ونسب؛ فأبوها كان ملكًا، وقد ورثت الملك بولاية منه؛ لأنه على ما يبدو لم يُرزق بأبناء بنين. لكن أشراف وعِلْيَة قومها استنكروا توليها العرش، وقابلوا هذا الأمر بالازدراء والاستياء؛ فكيف تتولى زمام الأمور في مملكة مترامية الأطراف مثل مملكتهم امرأة؟ أليس منهم رجلٌ رشيد؟

المؤامرة:

وكان لهذا التشتت بين قوم بلقيس أصداء خارج حدود مملكتها، فقد أثار ذلك الطمع في قلوب الطامحين في الاستيلاء على مملكة سبأ، ومنهم الملك "عمرو بن أبرهة"، الملقب بذي الأذعار، فحشر ذو الأذعار جنده، وتوجه ناحية مملكة سبأ للاستيلاء عليها وعلى ملكتها بلقيس، إلا أن بلقيس علمت بما في نفس ذي الأذعار، فخشيت على نفسها، واستخفت في ثياب أعرابي، ولاذت بالفرار. و عادت بلقيس بعد أن عم الفساد أرجاء مملكتها، فقررت التخلص من ذي الأذعار؛ فدخلت عليه ذات يوم في قصره، وظلت تسقيه الخمر، وهو ظانٌ أنها تسامره، وعندما بلغ الخمر منه مبلغه، استلّت سكينًا وذبحته بها. إلا أن رواياتٍ أخرى تشير إلى أن بلقيس أرسلت إلى ذي الأذعار، وطلبت منه أن يتزوجها، بُغية الانتقام منه، وعندما دخلت عليه فعلت فعلتها التي في الرواية الأولى. وهذه الحادثة هي دليلٌ جليّ وواضح على رباطة جأشها، وقوة نفسها، وفطنة عقلها، وحسن تدبيرها للأمور. وخلّصت بذلك أهل سبأ من شر ذي الأذعار وفساده.

ازدهار الحكم:

ازدهر زمن حكم بلقيس لمملكة سبأ أيمّا ازدهار، واستقرت البلاد أيمّا استقرار، وتمتع أهل اليمن بالرخاء، والحضارة، والعمران، والمدنية. كما حاربت بلقيس الأعداء، ووطّدت أركان ملكها بالعدل، وساست قومها بالحكمة. ومما أذاع صيتها وحبّبها إلى الناس، قيامها بترميم سد مأرب، الذي كان قد نال منه الزمن، وأهرم بنيانه، وأضعف أوصاله. وبلقيس هي أول ملكة اتخذت من سبأ مقرًا لحكمها.

كما أن الملكة بلقيس ما كان لها هذا الشأن العظيم، لولا اتصافها برجاحة العقل، وسعة الحكمة، وغزارة الفهم؛ فحُسن التفكير، وحزم التدبير، أسعفاها في كثيرٍ من المواقف الصعيبة، والمحن الشديدة التي تعرضت لها هي ومملكتها؛ ومنها قصتها مع الملك ذي الأذعار، الذي كان يضمر الشر لها ولمملكتها، ولكن دهاءها وحنكتها خلّصاها من براثن ذي الأذعار، وخلّص قومها من فساده وطغيانه وجبروته.

كما أنها عُرفت بحسن المشاورة، إلى جانب البراعة في المناورة؛ فهي لم تكن كبقية الملوك متسلطة في أحكامها، متزمتة لآرائها، لا تقبل النقاش أو المجادلة، بل كانت كما أجرى الله على لسانها: ﴿ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾، وذلك على الرغم من أنه كان بمقدورها أن تكتفي برأيها، وهي الملكة العظيمة، صاحبة الملك المهيب؛ فهي ببصيرتها النيّرة كانت ترى أبعد من مصلحة الفرد، فهّمها كان فيما يحقق مصلحة الجماعة.

ذكاء وفطنة:

وكانت بلقيس فطينة رزينة، وكانت فطنتها نابعة من أساس كونها امرأة؛ فالمرأة خلقها الله –عز وجل – ، وجعلها تتمتع بحاسة تمكنها من التبصر في نتائج الأمور وعواقبها. والشاهد على ذلك، أنه كان لبلقيس – كعادة الملوك – عدد كبير من الجواري اللاتي يقمن على خدمتها، فإذا بَلَغْنَ استدْعتهن فُرَادى، فتُحدِّث كل واحدة عن الرجال، فإن رأت أن لونها قد تغير، فطنَت إلى أن جاريتها راغبة في الزواج، فتُزوجها بلقيس رجلاً من أشراف قومها، وتكرم مثواها، أما إذا لم تضطرب جاريتها، ولم تتغير تعابير وجهها، فَطنَت بلقيس إلى أنها عازفة عن الرجال، وراغبة في البقاء عندها، ولم تكن بلقيس لتُقَصِّر معها.

قصة بلقيس في القرآن:

ورد ذكر الملكة بلقيس في القرآن الكريم، فهي صاحبة الصرح المُمَرّد من القوارير، وذات القصة المشهورة مع النبي سليمان بن داود - عليه السلام - في سورة النمل.

وقد كان قوم بلقيس يعبدون الأجرام السماوية، والشمس على وجه الخصوص، وكانوا يتقربون إليها بالقرابين، ويسجدون لها من دون الله، وهذا ما لفت انتباه الهدهد، الذي كان قد قد بعثه سليمان - عليه السلام - ليبحث عن موردٍ للماء. وبعد الوعيد الذي كان قد توعده سليمان إيّاه؛ لتأخره عليه، بأن يعذبه إن لم يأت بعذرٍ مقبول، عاد الهدهد وعُذْره معه؛ يقول القرآن الكريم على لسان الهدهد: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾، فقد وجد الهدهد أن أهل سبأ، على الرغم مما آتاهم الله من النعم إلا أنهم يسجدون للشمس من دون الله.

فما كان من سليمان– عليه السلام – ، المعروف بكمال عقله، وسعة حكمته، إلا أن يتحرّى صدق كلام الهدهد، فقال: ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾، وأرسل إلى بلقيس - ملكة سبأ - بكتابٍ يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله ورسوله، والإنابة والإذعان، وأن يأتوه مسلمين خاضعين لحكمه وسلطانه، ونصّه كما جاء في القرآن: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

كانت بلقيس حينها جالسةً على سرير مملكتها المزخرف بأنواع من الجواهر واللآلئ والذهب، مما يسلب الألباب، ويُذهب بالمنطق والأسباب، ولمَا عُرف عن بلقيس من رجاحة وركازة العقل، فإنها جمعت وزراءها وعلية قومها، وشاورتهم في أمر هذا الكتاب. في ذلك الوقت، كانت مملكة سبأ تشهد من القوة ما يجعل

الممالك الأخرى تخشاها، وتحسب لها ألف حساب، فكان رأي وزرائها كما يحكبي القرآن الكريم: ﴿ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾، في إشارةٍ منهم إلى اللجوء للحرب والقوة، إلا أن بلقيس، صاحبة العلم والحكمة والبصيرة النافذة، ارتأت رأيًا مخالفًا لرأيهم؛ فهي تعلم بخبرتها وتجاربها في الحياة، أن ﴿ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾. وبصرت بما لم يبصروا، ورأت أن ترسل إلى سليمان بهديةٍ مع علْيَة قومها وقلائهم؛ علّه يلين أو يغير رأيه، وأنتظرت بما يرجع المرسلون. ولكن سليمان –عليه السلام – رد عليهم برد قوي، منكر صنيعهم، ومتوعد إياهم بالوعيد الشديد قائلاً كما يحكي القرآن الكريم: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾.

ومن أمارات فطْنتها أيضًا، أنه لما أُلقي عليها كتاب سليمان، علمت من ألفاظه أنه ليس ملكًا كسائر الملوك، وأنه لا بد وأن يكون رسولاً كريمًا، وله شأنٌ عظيم؛ لذلك خالفت وزراءها الرأي عندما أشاروا عليها باللجوء إلى القوة، وارتأت بأن ترسل إلى سليمان بهدية، وكان المراد من وراء هذه الهدية، ليس فقط لتغري وتلهي سليمان– عليه السلام – بها، وإنما لتعرف أتغير الهدية رأيه وتخدعه؟ ولتتفقد أحواله، وتعرف عن سلطانه وملكه وجنوده.

قوة وسلطان:

أيقنت بلقيس بقوة سليمان، وعظمة سلطانه، وأنه لا ريب نبي من عند الله – عز وجل – ، فجمعت حرسها وجنودها، واتجهت إلى الشام، حيث سليمان– عليه السلام.

وكان عرش بلقيس، وهي في طريقها إلى سليمان– عليه السلام – مستقرًا عنده، فقد أمر جنوده بأن يجلبوا له عَرْشَها، فأتاه به رجلٌ عنده علم الكتاب، قبل أن يرتد إليه طرفه، ومن ثم غيّر لها معالم عرشها، ليعلم أهي بالذكاء والفطنة بما يليق بمقامها وملكها.

وسارت بلقيس على الصرح الممرّد من القوارير، والذي كان ممتدًا على عرشها، إلا أنها حَسِبَتْه لجةً؛ فكشفت عن ساقيها، وكانت مخطئة بذلك، فعندها عرفت أنها وقومها كانوا ظالمين لأنفسهم بعبادتهم لغير الله– تعالى – ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

ومن أمارات فطنتها وذكاءها أيضًا، أن سليمان– عليه السلام – عندما قال لها متسائلاً ﴿ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ﴾، قالت: ﴿ كَأَنَّهُۥ هُوَ ﴾، ولم تؤكد أنه هو؛ لعلمها أنها خلفت عرشها وراءها في سبأ، ولم تعلم أن لأحد هذه القدرة العجيبة على جَلْبِه من مملكتها إلى الشام، كما أنها لم تنفِ أن يكون هو؛ لأنه يشبه عرشها، لولا التغيير والتنكير الذي كان فيه.

إسلام الملكة بلقيس مع سليمان:

كثيرةٌ هي القصص المذكورة في القرآن عن أقوامٍ لم يؤمنوا برسل الله، وظلوا على كفرهم، على الرغم مما جاءهم من العلم. إلا أن بلقيس وقومها آمنوا برسول الله سليمان– عليه السلام – ، ولم يتمادوا في الكفر بعدما علموا أن رسالته هي الحق، وأن ما كانوا يعبدون من دون الله كان باطلاً. واعترفت بلقيس بأنها كانت ظالمة لنفسها بعبادتها لغير الله يقول القرآن على لسانها: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

زواج ثم وفاة:

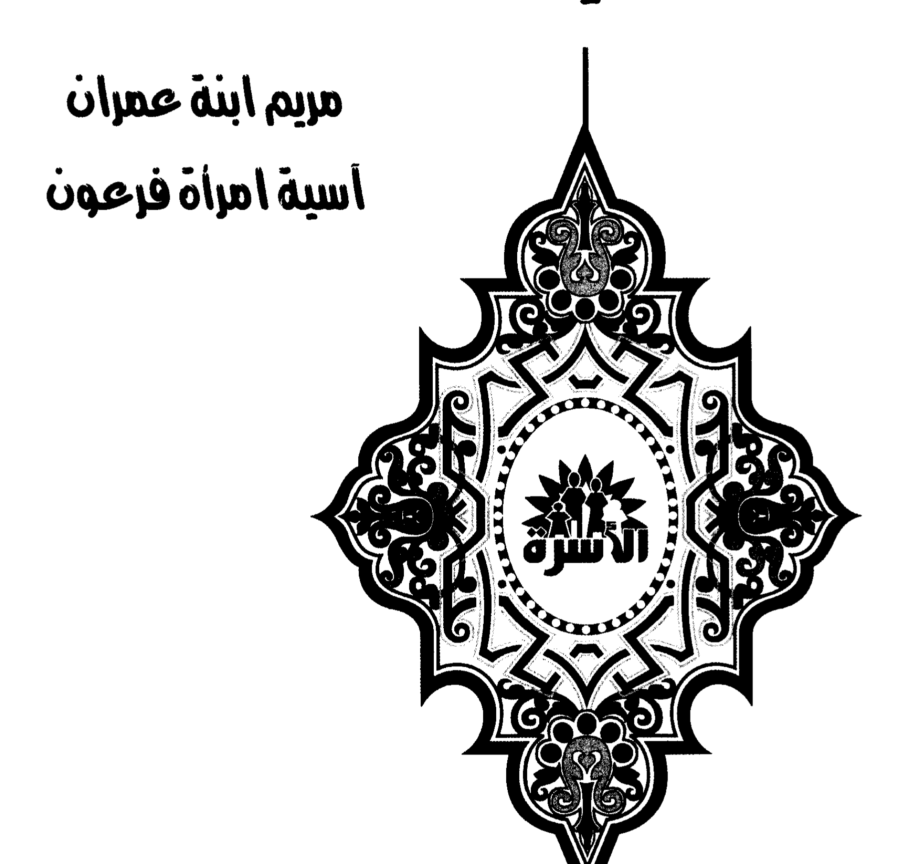
تقول المراجع التاريخية: إن سليمان– عليه السلام – تزوج من بلقيس، وإنه كان يزورها في سبأ بين الحين والآخر، وأقامت معه سبع سنين وأشهرًا، وتُوفيت، فدفنها في تَدْمُر. وتُعلّل المراجع سبب وفاة بلقيس، أنها بسبب وفاة ابنها رَحْـبَم بن سليمان.

وقد ظهر تابوت بلقيس في عصر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وعليه كتابات تشير إلى أنها ماتت لإحدى وعشرين سنة خلت من حكم سليمان. وفُتح التابوت، فإذا هي غَضّة لم يتغير جسمها، فرفع الأمر إلى الخليفة، فأمر بترك التابوت مكانه، وبَنَى عليه الصخر.

مثل للذين آمنوا:

مريم ابنة عمران

آسية امرأة فرعون



نساء من الأمم السابقة ضرب الله بهن مثلا فى الإيمان والعمل الصالح.

آسية امرأة فرعون

ما أعظمها من امرأة! وكم يفتقر مجتمعنا لمثل هذه الشخصيات العظيمة الآن! وما أحوجنا إليها!

إن تذكُّر الله في الشدة، أسهل منه بكثير من ذكره في الرخاء، فهلا نظرنا حولنا لنرى الملوك والعظماء، ومن منهم يتقي الله، وننظر للفقراء والضعفاء، ومدى قربهم من الله!!

من أعظم القربات عند الله – عز وجل – أن تحمده وتشكره ولم يلم بك مصاب، وأن يتقرب منه ملك أو عظيم.

كانت آسية مثال لمن ترك كل شيء عظيم لله – عز وجل – ، وكانت تعيش في أعظم القصور وأفخمها؛ إذ كان قصرها مليئًا بالجواري والعبيد والخدم، وكانت تعيش حياة مترفة منعمة؛ فقد كانت آسية، زوجة للفرعون الذي طغى واستكبر في زمانه، وادّعى الألوهية، وأمر عبيده بأن يعبدوه ويقدسوه هو لا أحد سواه، وأن ينادوه بفرعون الإله – معاذ الله – ، ومع ذلك آمنت اسية بالله، وضحّت كثيرًا في سبيل إيمانها هذا.

نسبها:

هي آسية بنت مزاحم، بن عبيد الديان، بن الوليد، الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف – عليه الصلاة السلام – ، وقيل: إنها كانت من بني إسرائيل، من سبط موسى – عليه الصلاة السلام – ، وقيل: بل كانت عمته.

الرضيع المفقود:

ما أن يُذكر اسم آسية امرأة فرعون، حتى تتراود لنا قصة سيدنا موسى – عليه السلام – ، وموقفها عندما رأته في التابوت، فقد كان لوجهه المنير، الذي تُشع منه البراءة، أثر كبير في نفسها؛ فهي من أقنع فرعون بالاحتفاظ به، وتربيته كابن لهما. في البداية لم يقتنع بكلامها، ولكن إصرار آسيه جعله يوافقها الرأي. وعاش نبينا موسى – عليه السلام – معهما، وأحبّته حبّ الأم لولدها.

إيمانها بالله – عز وجل – :

عندما دعا موسى – عليه السلام – إلى توحيد الله تعالى، آمنت به وصدّقته، ولكنها في البداية أخفت ذلك؛ خشية فرعون، وما لبثت حتى أشهرت إسلامها، واتبعت دين موسى – عليه السلام. وجن جنون الفرعون لسماعه هذا الأمر المروع بالنسبة له، وحاول عبثًا ردَّها عن إسلامها، وأن تعود كما كانت في السابق، فتارةً يحاول إقناعها بعدم مصداقية ما يدعو له موسى – عليه السلام – ، وتارة يُرْهبها بما قد يحل بها من جرّاء اتِّباعها لموسى – عليه السلام – ، ولكنها كانت ثابتة على الحق، ولم يزحزحها فرعون عن دينها وإيمانها مقدار ذرة.

عذاب وصبر:

سأل فرعون الناس عن رأيهم في مولاتهم آسية بنت مزاحم، فأثنوا عليها كثيرًا، وقالوا: أنه لا مثيل لها في هذا العالم الواسع. وما أن أخبرهم بأنها اتبعت دين موسى – عليه السلام – حتى طلبوا منه بأن يقتلها، فما كان عقابها من الفرعون إلا أنْ رَبَطَ يديها ورجليها بأربعة أوتاد، وألقاها في الشمس، حيث الحر وأشعة الشمس الحارقة، ووضعوا صخرة كبيرة على ظهرها. فمن يصدق بأن الملكة التي كانت تعيش في أجمل القصور بين الخدم والحشم، هي الآن مربوطة بالأوتاد تحت أشعة الشمس الكاوية؟! ومع ذلك، فقد صبرت وتحملت الشقاء، طمعًا بلقاء الله – عز وجل – ، والحصول على الجنة، وذلك لاعتقادها القوي بأن الله لا يُضيع أجر الصابرين.

بيت في الجنة:

وقبل أن تزهق روحها الطاهرة، وعند إحساسها بدنو أجلها، دعت المولى – عز وجل – بأن يتقبلها في فسيح جناته، وأن يبني لها بيتًا في الجنة. قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ

لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾[1].

من ملاحظتنا للآية السابقة، فقد قدمت (عندك) على (في الجنة)، ولهذا سر عظيم، ألا وهو: (أنها طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه، ثم بيّنت مكان القرب بقول: {في الجنة}، أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة، وأن تكون جنّتها من الجنان التي هي أقرب إلى العرش، وهي جنّات المأوى، فعبرت عن القرب إلى العرش بقولها: "عندك".

<u>أجرها، وثوابها، وفضلها:</u>

كان لآسية ما تمنّت، فقد بُني لها عند الله بيتًا في الجنة، واستحقت أن يضعها الرسول - ﷺ - مع النساء اللاتي كَمُلْن، وذلك عندما قال: "**كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**".

وروي عن ابن عباس (**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَطَّ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ ثُمَّ قَالَ « أَتَدْرُونَ لِمَ خَطَطْتُ هَذِهِ الْخُطُوطَ » . قَالُوا لاَ . قَالَ « أَفْضَلُ نِسَاءِ الْجَنَّةِ أَرْبَعٌ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ ابْنَةُ مُزَاحِمٍ»**). كما روي أنها ومريم بنت عمران ستكونان من أزواج الرسول - ﷺ - في الجنة.

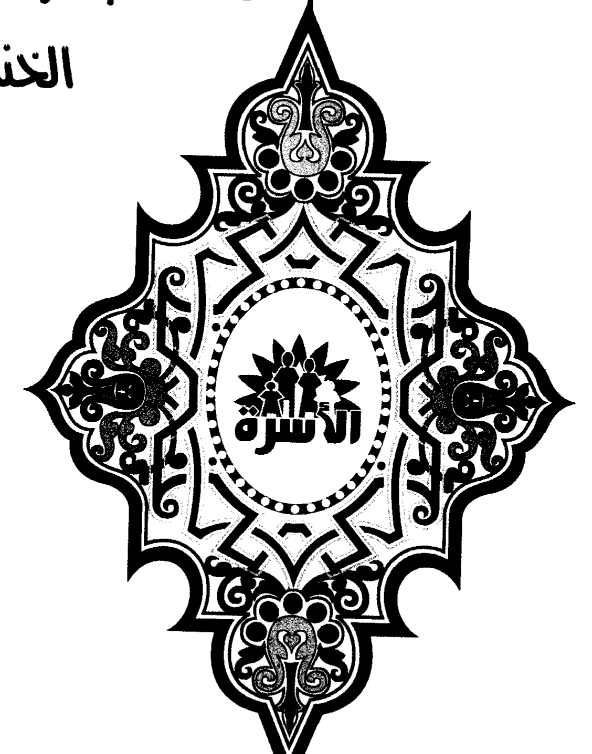
نسأل الله عز وجل بأن يتقبلنا جميعًا في فسيح جناته، وأن يمنحنا فرصة الشهادة مثل هذه الشخصية العظيمة، وغيرها الكثير ممن قرأنا أو حتى سمعنا عنهم.

1) التحريم آية رقم (١١)

شاعرات وكاتبات:

عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)

الخنساء



نساء أصحاب مواهب فكرية وشعرية
لهن مواقف خالدة وعلامات فى الإبداع
لا ينساها الزمان.

عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ

إذا أراد أحد أن يقرأ بحثًا أو كتابًا قيما عن سيدات بيت النبوة، فإن من أوائل الكتب التي تطرح عليه، هو كتاب تراجم سيدات بيت النبوة؛ لما أُشتُهر عنه من بلاغة في سرد الأحداث والقصص، ولكن لمن هذا الكتاب؟ ومن الكاتبة؟

هي عائشة عبد الرحمن، ناقدة، وكاتبة، وقصصية. ولِدت في دمياط، بمصر (١٩١٣ ـــ ١٩٩٨م).

درست عائشة في صغرها في الكتاتيب الخاصة بتعليم الفتيات، فظهر نبوغها الأدبي والعلمي، مما شجع جدها لأمها لإقناع والدها بإدخالها مدرسة اللوزي الأميرية للبنات، والتي لم يكن يحظى بدخولها إلا النذر اليسير من الفتيات، في عصر منعت فيه المرأة من التعليم، واستمرت تنهل من عباب العلم، وترقى في سُلَّمِه، رغم الصعوبات، في تحدٍّ واضح لكل المحاولات التي منعت المرأة من هذا الحق، حتى تخرجت في كلية الآداب، قسم اللغة العربية، من جامعة القاهرة، بتقدير امتياز، وذلك سنة ١٩٣٦م، ثم حصلت على درجة الماجستير مع مرتبة الشرف سنة ١٩٤١.

نبوغ في الصغر:

بدأت عائشة عبد الرحمن حياتها الأدبية وهي ابنة ثمانية عشر ربيعًا في جريدة النهضة النسائية، بلقب مستعار هو بنت الشاطئ، وقد أحبت عائشة هذا الاسم كثيرًا؛ لما له من ذكريات طفولية في نفسها على شاطئ النيل؛ حيث قضت طفولتها، ففضلت أن تكتب به؛ نظرًا لشدة محافظة أسرتها، خاصة، وأن المرأة في تلك الفترة لم تتمتع بحقها في التعليم، بل وفي الكتابة عبر الصحافة، ثم انتقلت إلى جريدة الأهرام، وقد استمرت تكتب بها حتى وفاتها سنة ١٩٨٨، وأخذت عائشة على عاتقها قضية تعليم المرأة، واعتبرتها أساسًا هامًّا يرتكز عليه تنشئة الجيل في المجتمع المسلم، فسعت من خلال كتاباتها التاريخية التي صاغتها بقالب أدبي عن سيدات بيت النبوة، إلى إبراز شخصية المرأة المسلمة، والمعلمة المجاهدة، ودعمت

من خلال مؤلفاتها أهمية دور المرأة، وأهمية تعليمها، وعدم الاستهانة بدورها في تطوير المجتمع الإسلامي، والنهوض به من براثن التهميش.

زواجها:

تزوجت بنت الشاطئ من أستاذها الجامعي أمين الخولي، الذي كان أحد رواد النهضة الفكرية والثقافية في مصر إبان تلك الفترة، الأمر الذي أسهم في أن يلعب الرجل دورًا بارزًا في حياة بنت الشاطئ، وتقدمها في المسار العلمي؛ فلم تشغلها حياتها الزوجية وإنجابها لثلاثة من الأبناء عن مواصلة مسيرة التعليم، فنالت درجة الدكتوراه بتقدير امتياز، في الرسالة التي ناقشها د. طه حسين.

بعض المناصب:

رغم ضعف الدور الذي لعبته المرأة في الحياة الثقافية والعلمية لتلك الفترة، إلا أن عائشة عبد الرحمن استطاعت أن تخطو بثبات نحو القمة، لتصبح رائدة في فكرها النسائي الإسلامي المتميز، وترتقي في سلم وظائفها التربوية والتعليمية، فتبوأت عدة مناصب، منها: أستاذة في الدراسات العليا بجامعة القرويين في المغرب، ثم أستاذة اللغة العربية في جامعة عين شمس، وأستاذة زائرة لعدّة جامعات عربية، منها: كلية أم درمان، وكلية التربية للبنات بالرياض، وجامعة بيروت، كما شغلت عضوية مجالس علمية كبيرة، مثل المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.

جوائز قيمة:

وصلت بنت الشاطئ بعلمها وأدبها مواصل تؤهلها لنيل العديد من الجوائز، من أبرزها: جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي، وجائزة الدولة التقديرية في مصر، والعديد من الجوائز التي نالتها من مختلف البلاد العربية، ونالت جائزة المجمع اللغوي لتحقيق النصوص، وجائزة المجمع اللغوي للقصة القصيرة، والجائزة الأولى للحكومة المصرية في الدراسات الاجتماعية والريف المصري،

ووسام الكفاءة الفكرية من حضرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، عاهل المغرب، وعضوية مجلس مركز تحقيق التراث في دار الكتب المصرية.

أعمال مؤثرة:

- برعت بنت الشاطئ في إبراز دور اللغة العربية، والغوص في أسرارها، وتقفي بحورها، عن طريق كتابها الشهير: "التفسير البياني للقرآن الكريم"، الذي تناولت فيه تفسير السور القصار من القرآن الكريم، وذلك من وجهة نظر خاصة، حيث فسرت ألفاظ القرآن الكريم من الناحية اللغوية، فعملت على تلمس الدلالات اللغوية الأصلية في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية، زاوجت من خلالها بين العقل والنقل في نقلها البياني، فثبتت ما نقله الأقدمون من تفسير، مع ما يتفق والمنطق العقلي في قبول هذا التفسير، فاستطاعت بهذه الخطوة التجديد في التناول والهدف والتفنيد لآراء القدماء والمحدثين، مُوْجِدَة بذلك منهجًا جديدًا ساهم في البناء الفكري للحضارة الإسلامية، ودافع عن اللغة العربية، في عصر اعتُبرت فيه هذه اللغة قاصرة عن إيجاد مصطلحات وافية في مختلف جوانب التقنية العلمية، التي وصلت إليها البشرية في عصرنا الحديث.
- استطاعت عائشة عبد الرحمن المضي قدمًا في دراسة علوم الحديث النبوي. تلك العلوم التي أصبح من الصعب التجديف عبر بحورها ذات الأمواج الصعبة عند الرجال، ناهيك عن النساء، ولم تقفْ بطموحها الفكري عند هذا الحد، بل وقفت في وجه الحركات المسمومة، التي حاربت الإسلام، وتصدت لها بكل صلابة وقوة، مسلطة الأضواء على خطورة البهائية، ومدى ارتباطها بالحركة الصهيونية العالمية.
- إلى جانب كل هذا، فقد كانت عائشة عبد الرحمن أديبة وناقدة متميزة، تركت لنا تراثًا أدبيًا ضخمًا وهادفًا، ومن أشهره: "قصة على الجسر"، التي روت فيها جوانب من سيرتها الذاتية، واهتمت بدراسة وتحقيق عدد

من المخطوطات، منها: "نص رسالة الغفران للمعري"، و "الخنساء.. الشاعرة العربية الأولى".

من مؤلفاتها:

"تراجم سيدات بيت النبوة"، و "السيدة زينب"، و "بطلة كربلاء"، و "مع المصطفى ﷺ"، و "القرآن وقضايا الإنسان".

دراسات أخرى:

"الحياة الإنسانية عند أبي العلاء"، و "الخنساء"، و "الغفران لأبي العلاء المعري"، و "الشاعرة العربية المعاصرة"، و "الإسرائيليات في الغزو الفكري"، و "قراءة في وثائق البهائية".

لقد استطاعت عائشة عبد الرحمن أن تضع المرأة في قالب فكري وعلمي وثقافي، حين تمارس المرأة حقوقها، في إطار يخدم مصالح مجتمعها، وأمتها، ودينها، مجاهدة بقلمها للدفاع عن قضايا دينها، والوقوف بقلمها في وجه التحديات والأخطار التي تعصف بحال أمتنا.

وستبقى بنت الشاطئ خالدة في ذاكرة الأمة الإسلامية، تروي من خلال غزارة إنتاجها قصة المرأة المسلمة صاحبة القلم المجاهد، في سبيل نهضة الأمة الإسلامية ورِفْعتها. رَحِمَ الله عائشة عبد الرحمن وأسكنها فسيح جناته، بما سطّره قلمها الأغر من حروف أضاءت صفحات مشرقة في سجل الحضارة الإسلامية.

نقول: إنها ظهرت للنور، وكُتبت بقلم من نور في صحف الخلود، ثم تضرب لنا مثلاً في التضحية والجهاد.

لقد تغيرت هذه المرأة، فبعدما كانت تبكي موت أخيها في الجاهلية، نراها وبعد بزوغ فجر الإنسان أصبحت شاعرة جديدة، تحمل قضية حضارية فوق أعمدة

الخنساء

مثال.. وإبداع:

في سير الأسلاف عظة، وفي مواقفهم خير وعبرة، والخنساء – رضي الله عنها – عُرفت بالبكاء، وإنشاء المراثي الشهيرة في أخيها المتوفى إبان جاهليتها، ويغلب عند علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها.

من هي الخنساء؟ ولماذا لُقبت بالخنساء؟

هي تماضر بنت عمرو، بن الحرث، بن الشريد، السلمية، ولِدَت سنة ٥٧٥ للميلاد، ولُقِبَت بالخنساء لقصر أنفها وارتفاع أرنبتيه.

ومثل بني قومها جميعًا في ذلك الوقت، عُرف عنها أخلاق: النبل، والفروسية، والعزة؛ فقد عُرفت بحرية الرأي، وقوة الشخصية، ونستدل على ذلك من خلال نشأتها في بيت عــزّ وجاه مع والدها، وأخويها: معاوية وصخر، والقصائد التي كانت تتفاخر بها بكرمهما وجودهما، وأيضًا أثبتت الخنساء قوة شخصيتها برفضها الزواج من دريد بن الصمة، أحد فرسان بني جشم؛ لأنها آثرت الزواج من أحد بني قومها، فتزوجت من ابن عمها رواحة بن عبد العزيز السلمي، إلا أنها لم تَدُم طويلا معه؛ لأنه كان يقامر، ولا يكترث بماله، لكنها أنجبت منه ولدًا، ثم تزوجت بعدها من ابن عمها مرداس بن أبي عامر السلمي، وأنجبت منه أربعة أولاد، وهم: يزيد، ومعاوية، وعمرو، وعمرة، وهم سبب كبير في شهرتها.. كيف ذلك؟ هذا ما سنعرفه سويًّا، فهيّا بنا نتعرف على علم ومثل حقٌ لنا أن نقتدي به، في إبداعها، وفي تضحيتها، وفي مدى تأثرها بدين الله – عز وجل.

هل تعرف معنى كلمة " مخضرم "؟

تُطلق كلمة مخضرم على من عاش في العصرين: الجاهلية والإسلام، وتُعد الخنساء من المخضرمين؛ لأنها عاشت في عصرين: عصر الجاهلية، وعصر الإسلام، ففي الجاهلية: تفجر شعرها بعد مقتل أخويها صخر ومعاوية، وخصوصًا أخوها صخر، فقد كانت تحبه حبًّا لا يوصف، وَرَثَتْهُ رِثَاءً حزينًا، وبالغت فيه، حتى

عُدَّت أعظم شعراء الرثاء، فقد قُتل معاوية على يد هاشم ودريد ابنا حرملة، يوم حوزة الأول سنة 612م، فحرّضت الخنساء أخاها صخر بالأخذ بثأر أخيه، ثم قام صخر بقتل دريد قاتل أخيه، ولكن صخرًا أُصيب بطعنة دام إثرها حولاً كاملا، وكان ذلك في يوم كلاب سنة ٦١٥ م، فبكت الخنساء على أخيها صخر قبل الإسلام وبعده، حتى عميت.

ثم تمضي السنون، والخنساء لا تنفك تبكي أخويها بمرارة وأسى، حتى تشرق شمس الإسلام، فتسلم الخنساء مع من أسلم، وهي لا تزال تبكي أخويها ليل نهار، حتى تتقرح أجفانها لذلك؛ فيُقال لها: ما قرح مآقي عينيك، فتقول: بكائي على السادات من مضر، فيُقال: يا خنساء، إنهم في النار، فتقول: ذاك أطول لعويلي عليهم. كنت أبكي لصخر على الحياة، وأنا اليوم أبكي له من النار. وقد حَسُنَ إسلامها؛ فقد كان الرسول – ﷺ – يعجبه شعرها، وينشدها بقوله لها: "هيه يا خُناس، ويومئ بيده". وفي يوم، أتى عُدي عند رسول الله – – فقال له: يا رسول الله، إن فينا أشعـــر الناس، وأسخى الناس، وأفرس الناس. فقال له النبي – ﷺ – : سَمِّهِمْ فقال: فأمّا عن أشعر الناس، فهو امرؤ القيس بن حجر، وأسخى الناس، فهو حاتم بن عدي (أباه)، وأما عن أفرس الناس، فهو عمرو بن معد يكرب. فقال له الرسول – ﷺ – : "**لَيْسَ كَمَا قُلْتَ يَا عَدِيُّ. أَمَّا أَشْعَرُ النَّاسِ فَالْخَنْسَاءُ بِنْتُ عَمْرٍو، وَأَمَّا أَسْخَى النَّاسِ فَمُحَمَّدٌ** (يعني نفسه – ﷺ)، **وَأَمَّا أَفْرَسُ النَّاسِ فَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ**" رضي الله عنه وأرضاه.

وهنا نقول: إن الناس معادن، خيارها في الجاهلية خيارها في الإسلام، فلو لم تكن هي شاعرة بارعة قبل الإسلام، لما تفجرت فجأة تلك الموهبة الفريدة، ولكن نقول: إنها ظهرت للنور، وكُتبت بقلم من نور في صحف الخلود، ثم تضرب لنا مثلاً في التضحية والجهاد.

لقد تغيرت هذه المرأة، فبعدما كانت تبكي موت أحيها في الجاهلية، نراها وبعد بزوغ فجر الإنسان أصبحت شاعرة جديدة، تحمل قضية حضارية فوق أعمدة

الشعر؛ ففي الإسلام قد رافقتهم مع الجيش زمن عمر بن الخطاب، وخرجت معهم في موقعة القادسية، وكأنها تبدلت تمامًا، فلم تَخَفْ عليهم من الموت؛ فتُحفِّز الخنساء أبناءها الأربعة على الجهاد، وتبث فيهم روح الحماسة والشجاعة في تلك الخطبة العصماء وهي تقول لهم:

(يا بني.. إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله إلا هو، إنكم بنو امرأة واحدة، ما خُنْت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾.

فإذا أصبحتم غدًا – إن شاء الله – سالمين، فأعدوا على قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سياقها، وجللت نارًا على أوراقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام حميسها، تظفروا بالغنم والكرامة في الخلد والمقامة...).

وأصغى أبناؤها إلى كلامها، فذهبوا إلى الجهاد، واستبسلوا في القتال، واستُشهدوا جميعًا، الواحد تلو الآخر، وعندما بلغ الخنساء خبر وفاة أبنائها، لم تجزعْ ولم تبكِ، ولم تحزن عليهم، كحزنها على أخيها صخر، ولم تتقرح أجفانها، ولكنها صبرت، فقالت قولتها المشهورة: (الحمد لله الذي شرّفني باستشهادهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته)، فكيف ذلك وهم أبناؤها وليسوا أخوها، كما أنهم أربعة معًا، وليسوا واحدًا؟!

هذا هو الإسلام، وهذه هي روحانياته المثلى، التي تحبب إلى الأم شهادة ابنها، وتهوّن لديها مصابها فيه، وهذه هي المرأة المسلمة التي لعبت دورها في المجتمع المسلم، وهذا من أثر الإسلام في النفوس المؤمنة، فاستِشْهادٌ في الجهاد لا يعني

انقطاعه وخسارته، بل يعني انتقاله إلى عالم آخر، هو خير له من عالم الدنيا؛ لما فيه من النعيم والتكريم والفرح، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾.

فهل مرّت علينا نسائم الإسلام وغيرتنا، كما فعلت بتلك الشاعرة؟ وهل فكرنا يومًا أن نجاهد في سبيل الله بموهبتنا التي نحبّها، والتي حينما نبذلها لله فإنها أيضًا ترضينا؟

خصائص شعْرهـا:

تُعد الخنساء من نساء العرب المخالدات، وديوان شعرها من أجمل دواوين الشعر، ويغلب على شعر الخنساء البكاء، والتفجع، والمدح، والتكرار؛ لأنها سارت على وتيرة واحدة، ألا وهي وتيرة الحزن والأسى وذرف الدموع، وعاطفتها صادقة نابعة من أحاسيسها الصادقة، ونلاحظ ذلك من خلال أشعارها.

وعندما انتقلت الخنساء بشعرها من الصفوف الخلفية إلى الصفوف الأمامية في مجال الشعر، كان ذلك بسبب انتقالها من شعر الرثاء الموصوم بالبكاء والضعف النفسي، إلى شعر الفخر، والإشادة بكبرياء وكرامة أخيها صخر؛ حيث كانت مثل هذه المواضيع مفضّلة في المجتمع العربي.

بعض أشعارها في الرثاء:

تعكس أبيات الخنساء حزنها الأليم على أخويها، وبالأخص على أخيها صخر؛ فقد ذكرته في أكثر أشعارها. وقد اقتطفت بعضًا من أشعارها التي تتعلق بالدموع والحزن، فهي في هذه القصائد تجبر عينيها على البكاء، وعلى ذرف الدموع لأخيها صخر، وكأنها تجبرهما على فعل ذلك رغمًا عنْهما، وفي متناول أيدينا هذه القصائد:

ألا يا عينُ فانهمـري بغـدرٍ   وفيْضـي فيضةً مـن غـيرِ نزرِ

ولا تعدي عزاء بعد صخـــــر فقد غلب العزاءَ وعيلُ صبـــــري
لمرزئة كأنّ الجوفَ منهـــــا بُعيد النـــوم يشعـــــرُ حرّ جمـــــر

في هذه الأبيات نرى أن الخنساء دائمة البكاء والحزن والألم على أخيها، ولم تَعُد تقوى على الصبر، ودموعها لا تجف، فهي - دائمًا - منهمرة بغزارة كالمطر، وعزاؤها لأخيها صخر مستمر.

مَنْ حس لي الأخوين كالـــ غصنين أو مَنْ راهمـــا
أخويـــنِ كالصّقريـــن لـــم يَرَ ناظرٌ شـــرواهمـــا
قرميـــــن لا يتظـــالمـــان ولا يـــــرام حماهمـــا
أبكي علـــى أخـــوي والـــ قبر الــــذي واراهمـــا
لا مثل كهلي فـــي الكهـــو ل، ولا فتـــى كفتاهمـــا

وهنا يظهر في أبياتها المدح والثناء لأخويها صخر ومعاوية، وذِكْر مآثرهما، والبكاء عليهما، وعلى القبر الذي واراهما.

ونظمت بهما المراثي الطوال، التي ضاهت بها أكابر الشعراء، وَرَثَتْه بأبيات شعرها الشهيرة:

أعينـــيّ جُودَا ولا تَجمـــدا ألا تبكيان لصخرَ النـــدَى
ألا تبكيان الجريّ الجمـــيل ألا تبكيان الفتَـــى السيدَا
طويل النجاد عظيمُ الرماد وســـادَ عشيرتَـــه أمـــردَا

ومن شعرها أيضًا:

يُذكّرني طلوعُ الشمسِ صخرًا وأذكره لكـــل غروب شمـــــس
ولولا كثرة الباكيـــن حولـــي على إخـــوانهم لقتلتُ نفســـــي
وما يبكون على أخي، ولكـــن أعـــزي النفس عنه بالتأسّـــــي
فيا لهفي عليه، ولهف نفســـي أيُصبح في الضريحِ وفيه يمسي

وفي الأبيات السابقة، وصفت الخنساء أخاها صخرًا بصفتين جميلتين؛ أولاهما: طلوع الشمس، وفيه دلالة على الشجاعة، وثانيهما: غروب الشمس، وفيه دلالة على

الكرم. وأيضًا تبكيه وتعزّي نفسها بالتأسّي عليه، وأكدت بالقسم (فلا والله) على أنها لن تنساه أبدًا.

وفي يوم من الأيام، طُلب من الخنساء أن تصف أخويها: معاوية وصخر، فقالت: إن صخرًا كان الزمان الأغبر، وذعاف الخميس الأحمر، وكان معاوية القائل الفاعل، فقيل لها: أي منهما كان أسنى وأفخر؟ فأجابتهم: بأن صخرًا حر الشتاء، ومعاوية برد الهواء. قيل: أيهما أوجع وأفجع؟ فقالت: أما صخر فجمر الكبد، وأما معاوية فسقام الجسد. ثم قالت:

أسدان محمرا المخالب نجدةً بحران في الزمن الغضوب الأنمر

وعندما كانت موقعة بدر، قُتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، فكانت هند بنت عتبة ترثيهم، وتقول: إنها أعظم العرب مصيبة، وأمرت بأن تقارن مصيبتها بمصيبة الخنساء في سوق عكاظ، وعندما أتى ذلك اليوم، سألتها الخنساء: من أنت يا أختاه؟ فأجابتها: أنا هند بنت عتبة، أعظم العرب مصيبة، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك، فبِمَ تعاظمينهم أنت؟ فقالت: بأبي عمرو الشريد، وأخي صخر ومعاوية، فبِمَ أنت تعاظمينهم؟ قالت الخنساء: أوهم سواء عندك؟ ثم أنشدت هندُ بنت عتبة تقول:

أبكي عميـد الأبطـحين كليهمـا ... ومانعهـا من كل باغٍ يريدهـا
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي ... وشيبة والحـامي الذمار وليدهـا
أولئك آل المجد من آل غـالـب ... وفي العز منها حين ينمي عديدها

فقالت الخنساء:

أبكي أبي عمـرًا بعيـنٍ غزيـرة ... قليل إذا نـام الخلـي هجودها
وصنـوي لا أنسـى معاوية الـذي ... لـه من سراة الحرتين وفودها
و صخرًا ومن ذا مثل صخر إذا غدا ... بساحته الأبطال قـزم يقودها
فذلك يا هنـد الرزية، فاعلمـي ... ونيران حرب حين شب وقودها

أقوال مأثورة:

قال عنها النابغة الذبياني: (الخنساء أشعر الجن والإنس).

أنشدت الخنساء قصيدهّا التي مطلعها:

قذى بعينيك أم بالعين عوار ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

لنابغة الذبياني في سوق عكاظ، فرد عليها قائلا: لولا أن الأعشى (أبا البصير) أنشدني قبلك، لقلت أنك أشعر من بالسوق.

وسُئل جرير عن أشعر الناس فـأجابهم: أنا، لولا الخنساء. قيل: فيم فضل شعرها عنك، قال: بقولها:

إن الزمان ومـا يفنى له عجـب أبقى لنا ذنبا واستؤصل الـرأس
إن الجديدين في طول اختلافهمـا لا يفسدان ولكن يفسد النـاس

وفاتها:

يُقال: إنها توفيت سنة ٦٦٤ ميلادية.

خاتمة

إن فتاة اليوم هى أم الغد وتربية الفتاة على القيم والأخلاق والعلم النافع يجب أن تكون من أولويات المربين اليوم.

يجب على أبنائنا التعرف على تراجم فضليات النساء اللاتي كن مضرب المثل في الخلق الفاضل في زمنهم: كنسيبة بنت كعب، وأسماء بنت أبي بكر، وصفية بنت عبد المطلب، وخولة بنت الأزور، وسكينة بنت الحسين وغيرهن كثير مما سبق التعرض له فى هذا الكتاب..

أما أن نهتم فى تعليم البنات بتدرس الموسيقى واللغة الأجنبية والهندسة الخ، ثم هي لا تعلم شيئا عن تربية الطفل ولا تهذيب الأخلاق ولا الدين والخلق ولا تدبير المترلي فماذا تنتظر من تلك الفتاة؟! ..

من لي بتربية البنات فإنها   في الشرق علة ذلك الإخفاق

والأم إذا صلحت فانتظر من ابنها أن يكون رجلا بكل معنى كلمة الرجولة، وأنت إذا استقرأت تاريخ العظماء وجدت أن السر في عظمة الكثيرين منهم ما بثته فيه الأم من المبادئ الصالحة القويمة.. وما كان على بن أبى طالب في حبه للحق وغيرته عليه، ولا معاوية في حلمه ودهائه، ولا عبد الله بن الزبير في شجاعته، إلا سرا من أسرار فاطمة بنت أسد، وصفية ابنة عبد المطلب، وأسماء بنت أبى بكر، وهند بنت عتبة.

ولئن كان الولد سر أبيه ، فكل إناء ينضح بما فيه ..

وحري بمن يسمع في مهده لأول عهده بالحياة ـــ ترنيمة أمه:

ثكلت نفسي وثكلت بكري   إن لم يسد فهــرا وغير فهــر
بالحسب العــدّ وبذل الوفر   حتى يوارى في ضريح القبر

أن يكون سيدا تتفجر الحكمة من جنبيه، وتنطوي السيادة في برديه، كما كان عبد الله بن عباس بتأثير أمه أم الفضل بنت الحارث الهلالية.

وحري بمن يطرق سمعه لأول مرة تلك الأغاني الخليعة والترنيمات الغثة التي يداعب بها أمهات هذا العصر أبناءهن أن ينشأ ماجنا خليعا فاتر الهمة ضعيف النفس ..

الأم أستاذ العالم والمرأة التي تهز المهد بيمينها تهز العالم بشمالها، فلأجل أن نصلح الأمة يجب أن نصلح الأم التي هي روح الأمة وقوامها..

والله الموفق.

الفهرس